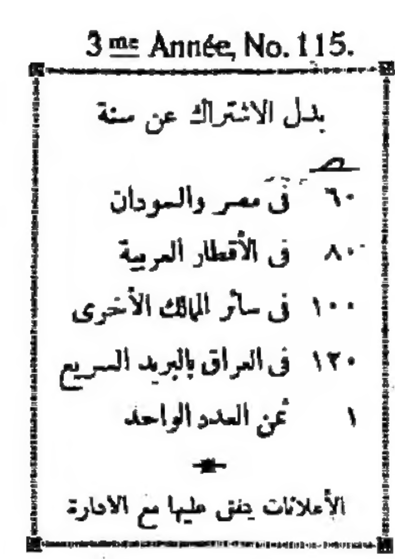
3 me Année, No. 115. Lundi-16-9-1935


بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبتدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ — ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

المسرح المصرى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أخفق المسرح المصرى ، أو لم يقم ، وهذا أصح ، لأن الذين حاولوا هـذا الأمر لم يجدوا من يسد خطاهم ، ويأخذ بيدهم ، ويشد أزرهم ، فخابت مساعيهم ، وضاعت عليهم جهودهم وأموالهم ، وتخبطوا حيناً ، ثم يئسوا وانصرفوا عن أمر لا طائل تحته ، ولا محصول وراءه ، ولا خير فيه لا لهم ولا للأدب ولا للناس

ويخطئ من يظن أن الذنب للحكومة وحـدها ، وأن تقصيرها فى بذل العون للمسرح قعد به ثم قضى عليه ، ولا ريب أن الحكومة أهملته وتركته للأقدار ، حتى صار فى النزع ، ثم حاولت أن تتداركه ، ولكن بعد أن تفاقمت العلة وتعضّلت المداوى ، فلم ينقذه المال الذى بذل له ، بل أزلفه إلى البوار الذى لم يبق منه مفر ، ذلك أن المال لم يكن كل ما بالمسرح فقر إليه ، فقد بدأ مستغنياً بنفسه عن مثل هذه المعونة ، وكان فى أول عهـده يلقى من الاقبال والتشجيع ماينفى عنه الشعور بوجود خلة تتطلب أن تسـد ، ثم فتر الاقبال وانصرف الناس لأنهم لم يجدوا

ما يطلبون ، وما كان خليقاً أن يؤدى إلى قيام مسرح مصرى بالمعنى الصحيح ، فقد كان المسرح معنياً بالترجمة والنقل والتمصير ، فكان صدى للمسارح الغربية ، ولم تكن له صبغة مصرية ، وليس عندنا ممثلون فى وزن ممثلى الغرب ، والحياة المصرية لا تشبه الحياة الغربية إلا فى بعض المظاهر المنقولة ، ومجتمعنا يقوم على نُظم تغاير نظم الغرب من وجوه شتى ، على الرغم من كثرة ما أخذنا عنه واقتبسنا منه ، وكذلك تختلف الروح والمزاج والطبائع والنزعات . فانا شرقيون على فرط ما نحاول أن نتغرب ، وما زال صحيحاً أن الشرق شرق ، والغرب غرب ، وأنهما لا يكادان يلتقيان ، والشرق مهبط الأديان ، والغرب مصانع الآلات ، والأديان لا تهبط الآن فى شرق أو غرب ، ولكن مزاج النفوس هو هو ، كما كان ، فى الناحيتين ، وتهيؤها واستعدادها واتجاهها ، وأسلوبها فى تلقى الحياة وتناولها ، ولا عبرة بالتعليم أو الجهل فى هذا الباب ، وإنما العبرة بالروح العامة ، وقد يزورها التعليم الحديث ويخفيها أو يسترها ، ولكنه لا يستطيع أن يغيرها

لهذا كان ما يمثل على المسرح المصرى من الروايات المترجمة أو الممصرة ، لا يستولى على هوى الجمهور ، ولا يشعره أن ما يراه يصور حياته كما بدت للكاتب ، وبعد أن أفرغ عليها صبغة الفن ، فبقى المسرح غريباً أجنبياً وإن كانت لغته العربية حيناً ، والعامية أحياناً ، وصار المرء يؤثر أن يقرأ هذه القصص فى الأصل أو باحدى اللغات التى نقلت إليها ، أو أن يشاهد ما يعرض منها فى دور السينما

وقد قطع المسرح — أو باعد على الأقل — ما بينه وبين الأدب ، فكانت تلك جناية ليس كمثلها جناية ، ألوت به أشد الإلواء ، وأتت عليه من قواعده ، ولسنا نفرد رجال المسرح أو الأدباء باللوم ، فان كلا من هؤلاء وهؤلاء يحمل نصيبه ، ولعل رجال الأدب قصروا فى الاتصال بالمسرح ، وعسى أن يكون الذنب للاتجاه العام الذى سار فيه الأدب المصرى بعد نهضته الحديثة ، فقد كانت العناية كلها — أو جلها — بالشعر والبحث والنقد ، ولم تكن القصة تشغل حيزاً فى هذه الحلبة الواسعة ، ولكن رجال المسرح كانوا أشد تقصيراً ، فقد كانوا يستطيعون أن يحولوا إليهم جدولا من ذلك النهر الفياض ، غير أنهم تهيبوه وأشفقوا من مطالبه ، وظنوا أن فى مقدورهم أن يستغنوا عنه ، وأجروا سفينتهم على العامية فجنحت بهم ولزقت بالأرض ، وتحطمت على الصخر

والعامية لفظة نطلقها هنا على اللغة وعلى أسلوب التناول أيضاً ، فنحن نعنى بها الجهل باللغة ، والجهل بالروح التى كان يجب أن يستوحيها المسرح ، وهو توسع فى التعبير نجيزه لأنفسنا فى هذا المقام ولا نرى منه بأساً ، ولا نخشى معه التباساً ؛ والأدب وحده هو الذى يدخل فى وسعه أن يهتدى إلى القصة الموافقة لقصة المسرح ، وهو وحده الذى يستطيع أن يستلهم روح الجماعة ، فاما أنه هو الذى يقدر على الأداء الموافق ، فلأن الأدب ذوق وبصر وسليقة وعلم وفن ، فان لم يكن هذه فهو ليس بأدب ، وأما قدرته على الاستيحاء فذاك لأنه فن ، والفن ملكة يحصل بها إدراك الحقائق وإبرازها على نحو يصدق على العموم وإن كان يبدو أنه فى أمس على الخصوص ، ومن هنا فرق ما بينه وبين التجربة ، فانها معرفة بأحوال معينة وخبرة بها تقتصر عليها ولا تتسع حتى تكون شاملة ، أما الفن فيتعلق بالحقائق العامة ، وهو فطنة ، لا علم ، وملكة قد تساعدها الخبرة ولكنها لا تخلقها ، وذوق تصقله وترهفه المزاولة غير أنه لا يكتسب بها ، وإن كانت المزاولة تفيد الحذق والبراعة

ولا يقل أحد إن الجماهير لا تقدر الأدب ، وإنها يشق عليها أن ترتفع إلى طبقته كما يتعذر عليه هو أن ينزل إليها ، فان القول بهذا جهل وغفلة ، والذى يذهب إلى هذا الرأى إنما ينظر إلى الشكل والعبارة لا إلى الجوهر والموضوع ، ثم هو يخلط بين ضروب متباينة من الأدب ، نعم ، يعسر على الجماهير غير المثقفة أن تنتفع أو تستمتع ببحث أو درس ، أو أن تدرك القيمة

الحقيقية لقصيدة ، وأن تفطن إلى عناصر الجمال أو الجلال أو القوة فيها ، ويعييها أن تبين لماذا يطربها الشعر أو يروقها الكلام ويطيب موقعه من نفوسها ، أو يؤثر فيها ، ولكنها تميز بغريزتها وإن لم تميز بعقلها ، وتحس بروحها وإن عزها الاهتداء إلى السبب ، والقصة ، بعد ، شيء لا عناء عليها في فهمه ، لأنها حوادث ووقائع قد يكون أو لا يكون وراءها معنى عويص أو فكرة عميقة ، على أن الوقوع على المراد لا يعجز الجمهور إذا سيق مساق القصة ، والناس نفوس ، وفيهم نظر ولهم إدراك وإحساس إذا لم يكن لهم علم . وأسلوب القصة يسهل التلقف ، ويقربه المناص ؟ وفي وسع القارئ أو المشاهد أن يعرف مبلغ الصدق في التصوير إذا لم يستطع أن يفطن إلى دقائق الفن ، كما يعجب بالصورة ويشهد لها بالصدق في التعبير ، والقوة في النطق ، وإن غابت عنه المزايا الفنية التي لا يراها أو لا يستطيع الحكم عليها إلا أهل هذا الفن والعارفون به

وقد تم هدم المسرح لما ظهرت السينما الناطقة ، لأن مجالها أرحب ، وميدانها لا تكاد تحصره الحدود ، وقد تضعضع المسرح في أوربا من جرائها ، فلا بدع أن قوضته في مصر ، وهو هناك يعاني منها البرح ، فغير مستغرب أن يدركه هنا الفناء ، وعسير بعد السينما الناطقة أن يقوم في مصر مسرح إلا في ظل الحكومة وبمالها ورعايتها ، ولكنه لا خير في هذه الرعاية إذا لم يقض عليه القائمون به الصبغة المصرية ، ولم يخلعوا عنه ذلك الثوب المستعار الذي انتهى بأن صار كفناً له ، وقد صار أمل المسرح المصري معقوداً الآن برجلين اثنين يتوليانه : حافظ عفيفي باشا ، والشاعر خليل مطران ، فإذا خاب هذان ، فلست أرى أملا للمسرح وراءهما

وقد كانت عناية الحكومة — إلى الآن — بالأوبرا دون غيرها ، وصحيح أنها اعتادت في السنوات الأخيرة أن تمنح الفرق إعانات ، وأن تبذل للممثلين مكافآت ، ولكن الإعانة كانت ضئيلة لا تغني ، والمكافأة كانت زرية ، وكان للأساليب التي تجري عليه وزارة المعارف في منحها لا يخلو من استهانة لكرامة الممثل . على أن هذا كله لم يكن إلا ستراً لجودها على الأوبرا ، وليست الأوبرا مصرية ، ولا التمثيل فيها بلغتنا ، ولعل مصر هي الدولة الوحيدة التي تبني داراً للأوبرا تستقدم إليها فرقاً من أمم شتى تمثل بلغاتها المختلفة ويضمن لها الربح ، وإن كان أبناء البلاد لا يذهبون إليها ولا يشهدون ما يمثل على ملعبها . وهو تكلف شديد انفردنا به ، ولا غاية منه إلا أن يجد السياح حين يفدون داراً للأوبرا ، عامرة بمثل ما ألفوه في ديارهم ؛ ولو أن هذه الأوبرا كانت مصرية والتمثيل فيها كذلك ، لكان هذا أبعث على سرور السياح ، لأنهم لا يجيئون إلى بلادنا ليروا فيها ما يرون في بلادهم ، بل ليطلعوا على ما عندنا نحن ، مما انفردنا به وتميزنا به وخالفناهم فيه ، ولو وثقوا أن ما عندنا ليس إلا صورة لما تركوه لما جشموا أنفسهم عناء السفر ومشقات الرحلة ونفقاتها . وليت الفرق التي تبذل لها المال لنفاخر بها من الطراز الأول ! والغريب بعد ذلك أن الفرق المصرية كانت تذاد عن دار الأوبرا إلا في الندرة القليلة والفلتات المفردة . وهذا حال يجب أن يقلب ليعتدل ، وعار ينبغي أن يغسل عنا ، ومهزلة يجب أن تقصر الحكومة عنها ، وإلا صح فينا بعد ألف سنة أننا أمة تضحك من جهلها الأمم .

إبراهيم عبد القادر المازني

ثَباتُ الأخـــلاق

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لو أنني سُئلتُ أن أُجمِلَ فلسفةَ الدين الإسلاميّ كلَّها في لفظين، لقلتُ إنها: ثباتُ الأخلاق، ولو سُئل أكبرُ فلاسفة الدنيا أن يوجز علاجَ الإنسانية كلَّه في حرفين، لما زاد على القول إنه: ثباتُ الأخلاق، ولو اجتمع كلُّ علماء أوربا ليدرسوا المدنية الأوربية ويحصروا ما يُعوِزُها في كلمتين لقالوا: ثباتُ الأخلاق

فليس ينتظرُ العالمُ أنبياءَ ولا فلاسفةَ ولا مصلحين ولا علماء يُبدِعون له بدْعاً جديداً؛ وإنما هو يترقب من يستطيع أن يفسر له الإسلامَ هذا التفسير، ويثبتَ للدنيا أن كل العبادات الإسلامية هي وسائل عمليةٌ تمنع الأخلاقَ الإنسانية أن تتبدّل في الحيِّ فيخلعَها ويلبس، إذا تبدلت أحوالُ الحياة فصعِدت بإنسانها أو نزلت؛ وأن الإسـلام يأبى على كل مسلم أن يكون إنسانَ حالته التي هو فيها من الثروة أو العدم، ومن الارتفاع أو الضَّعَة، ومن خمول المنزلة أو نباهتها؛ ويوجب على كل مسلم أن يكون إنسانَ الدرجة التي انتهى إليها الكونُ في سموّه وكماله، وفي تقلُّبه على منازله بعد أن صُفِّي في شريعة بعد شريعة، وتجربةٍ بعد تجربة، وعلمٍ بعد علم

انتهت المدنيةُ إلى تبدُّل الأخلاق بتبدُّل أحوال الحياة، فمن كان تقياً على الفقر والإملاق وحرّمه الإعسارُ فنونَ اللذة، ثم أيسر من بعدُ؛ جاز له أن يكون فاجراً على الغنى، وأن يتسمح لفجوره على مدِّ ما يتطوّحُ به المال، وإن أصبح في كل دينار من ماله شقاءُ نفسٍ إنسانيةٍ أو فسادُها

ومن وُلد في بطن كوخ، أو على ظهر الطريق، وجب أن يبقى أرضاً إنسانية؛ كأن الله سبحانه لم يبن من عظامه ولحمه وأعصابه إلا خربةً آدميةً من غير هندسة ولا نظام ولا فن ... ثم يقابله من وُلد في القصر أو شِبهِ القصر فله حكم آخر، كأن الله سبحانه قد ركب من عظمه ودمه وتكوينه آيةَ هندسةٍ، وأعجوبةَ فن، وطُرفةَ تدبير، وشيئاً مع شيء، وطبقةً على طبقة

ولكن الإسلام يقرر ثباتَ الخُلُق ويوجبه وينشّئ النفس عليه، ويجعله في حياطة المجتمع وحراسته، لأن هنالك حدوداً في الإنسانية تتميز بحدود في الحياة، ولا بد من الضبط في هذه وهذه، حتى لا يكون وضعٌ إلا وراءه تقدير، ولا تقديرٌ إلا معه حكمة، ولا حكمةٌ إلا فيها مصلحة؛ وحتى لا تعلو الحياة ولا تنزل إلا بمثل ما ترى من كِفّتي ميزان شُدَّتا في علاقة تجمعهما وتحركهما معاً، فهي بذاتها هي التي تنزلُ بالنازل لتدلَّ عليه وتشيلُ بالعالي لتبيّن عنه. فالإسلامُ من المدنية، هو مدنيةُ هذه المدنية

* * *

إنها لن تتغيرَ مادة العظم واللحم والدم في الإنسان فهي ثابتة مقدَّرة عليه، ولن تتبدل السنن الإلهيةُ التي توجدها وتفنيها فهي مصرَّفة لها قاضيةٌ عليها؛ وبين عمل هذه المادة وعمل قانونها فيها، تكون أسرارُ التكوين؛ وفي هذه الأسرار تجد تاريخ الإنسانية كلَّه سابحاً في الدم

هي الغرائز تعمل في الإنسانية عملَها الإلهي، وهي محدَّدة محكمةٌ على ما يكون من تماديها واختلافِ بينها، وكأنها خُلقت بمجموعها لمجموعها. ومن ثَمَّ يكون الخُلُق الصحيحُ في معناه قانوناً إلهياً على قوة كقوة الكون وضبطٍ كضبطه. وبهذه القوة وهذا الضبط يستطيع الخُلُق أن يحوّلَ المادةَ التي تعاوضه إذا هو اشتدّ وصَلُب، ولكنه يتحول معها إذا هو لانَ أو ضعُف. فهو قدَرٌ إلا أنه في طاعتك، إذ هو قوةُ الفصل بين إنسانيتك وحيوانيتك، كما أنه قوة المزْج بينهما، كما أنه قوة التعديل فيهما. وقد سُوِّغَ القُدرةَ على هذه الأحوال جميعاً؛ ولولا أنه بهذه المثابة لعاش الإنسانُ طولَ التاريخ قبل التاريخ؛ إذ لن يكون له حينئذ كونٌ تؤرّخ فضائلُه أو رذائله بمدح أو ذم

فلا عبرة بمظهر الحياة في الفرد، إذ الفردُ مقيدٌ في ذات نفسه بمجموع هو للمجموع وليس له وحده. فأنت ترى الغرائز دائبةً في إيجاد هذا الفرد لنوعه بسُنَنٍ من أعمالها، ودائبةً كذلك في إهلاكه في النوع نفسه بسُنَنٍ أخرى. فليس قانونُ الفرد إلا أمراً عارضاً كما ترى؛ وبهذا يمكن أن يتحولَ الفردُ على أسباب مختلفة. ثم تبقى الأخلاقُ التي بينه وبين المجموع ثابتةً على صورتها

فالأخلاقُ على أنها فى الأفراد هى فى حقيقتها حُكْمُ المجتمع على أفراده ؛ فقِـوامها بالاعتبار الاجتماعىّ لا غير

* * *

وحين يقع الفسادُ فى المُجتمَع عليـه من آداب الناس ، ويلتوى ما كان مستقيما ، وتَشتَبه العاليةُ والسافلة ، وتُطَّرحُ المبالاةُ بالضمير الاجتماعى ، ويقومُ وزنُ الحكم فى اجتماعهم على القبيح والمنكر ، وتجرى العِـبْرة فيما يعتبرونه بالرذائل والمحرَّمات ، ولا يُعجِبُ الناسَ إلا ما يُفسدهم ، ويقع ذلك منهم بموقع القانون ويحلُّ فى محل العادة ؛ فهناك لا مِساكَ للخلُق السليم على فرد ، ولا بد من تحوّل الفرد فى حقيقته إذ كان لا يجئ أبداً إلا متصدِّعاً فى كل مظاهره الاجتماعيــة ، فأينما وقع من أعمال الناس جاء مكسوراً أو مثلوماً ، وكأنه منتقلٌ من عالَم الى عالم ثانٍ بغير نواميس الأول

وما شذَّ من هذه القاعدة إلا الأنبياءُ وأفرادٌ من الحكماء ؛ فأما أولئك فهم قوةُ التحويل فى تاريخ الانسانيــة لا يُبعَثُ أحدُهم إلا ليَهيجَ به الهيْجُ فى التاريخ ، ويَتطرّقَ به الناسُ الى سُبُلٍ جديدة كأنما تطردهم اليها العواصفُ والزلازلُ والبراكين ، لا شريعتـه ومبادئه وآدابه . وأما الحكماءُ الناجون فهم دائماً فى هذه الانسانية أمكنةٌ بشريةٌ محصَّنة لحفظ كنوزها وإحرازها فى أنفسهم ، فلهم فى ذات أنفسهم عِصمةٌ ومَنَـعَة كالجبال فى ذات الأرض

* * *

الأخلاقُ فى رأيى هى الطريقة لتنظيم الشخصية الفَـردية على مقتضى الواجبات العامة ، فالاصـلاحُ فيها إنما يكون من عمل هــذه الواجبات ، أى من ناحية المجتمع والقائمين على حُكمه .

وعندى أن للشعب ظاهراً وباطنا ، فباطنُه هو الدينُ الذى يحكم الفرد ، وظاهره هو القانونــُ الذى يحكم الجميع ، ولن يَصلح الباطن المتصل بالغيب ، إلا ذلك الحكمُ الدينىُّ المتصــلُ بالغيب مثله ، ومن هنا تتبيّنُ مواضعُ الاختلال فى المدنيــة الأوربية الجديدة ، فهى فى ظاهر الشعب دون باطنه ، والفردُ فاسدٌ بها فى ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين ، ولـكنه مع ذلك يبـدو صالحا منتظما فى ظاهره الاجتماعىّ بالقوانين وبالآداب العامة التى تفرضها القوانين ، فلا يبرحُ هازئا من الأخلاق ساخراً بها لأنها غير ثابتة فيه ، ثم لا تـكون عنده أخــلاقا يَعتَدُّ بها إلا إذا درّت بها منافعُه وإلا فهى ضارّة إذا كانت منها مضرّة ، وهى مؤلمة إذا حالت دون اللذات . ولا ينفكُّ هذا الفردُ يتحول لأنه مُطلقٌ فى باطنه غيرُ مقيد إلا بأهوائه ونَزعاته ، وكلتا الفضيلة والرذيلة معدومتان فى لغـة الأهواء والنزَعات إذ الغايةُ المتاعُ واللذة والنجاحُ ، وليكن السببُ ما هو كائن . . . .

وبهذا فلن تقومَ القوانينُ فى أوربا إذا فنى المؤمنون بالأديان فيها أو كاثَرَهم الملحدون ، وهم اليوم يُبصرون بأعينهم ما فعلت عقليةُ الحرب العظمى فى طوائفَ منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها فتحولوا ذلك التحولَ الذى أومأنا إليه ، فاذا أعصابهم بعـد الحرب ما تزال محاربةً مقاتلةً ترى فى كل شىء روح الدم والأشلاء والقبور والتعفُّن والبِلى . . . . وانتهت الحربُ بين أمم وأمم ، ولـكنها بدأت بين أخلاق وأخلاق

وقديما حارب المسلمون ، وفتحوا العالم ، ودوّخوا الأمم ، فأثبتوا فى كل أرض مدى دينهم وقوةَ أخلاقهم الثابتة ، وكان من وراء أنفسهم فى الحرب ما هو من ورائها فى السِّلم ، وذلك بثبات باطنهم الذى لا يتحول ، ولا تستخفه الحياةُ بنَزَقها ، ولا تَستفِـفُّهُ الدنيات فتحمله على الطيش .

ولو كانوا هم أهلَ هــذه الحرب الأخيرة بكل ما قذفت به الدنيا ، لبقيت لهم العقليةُ المؤمنةُ القوية ، لأن كل مسلم فانما هو وعقليتُه فى سلطان باطنــه الثابت القارّ على حدود بينةٍ محصلةٍ مقسومةٍ تحوطها وتمكنها أعمالُ الايمـان التى أحكمها الاسلامُ أشـد إحكام بفَرْضها على النفوس منوّعةً مكررةً كالصلاة والصوم والزكاة لتمنع بها تغيرا وتُحدث بها تغيرا آخر ، وتجعلها كالحارسـة للارادة ما تزال تمرُّ بها وتتعهدها بين السـاعة والسـاعة (١)

إنما الظاهرُ والباطنُ كالموج والساحل ؛ فاذا جُنَّ الموجُ فلن يَضيرَه ما بقى الساحلُ رَكيناً هادئاً مشدوداً بأعضاده فى طبقات الأرض . أما إذا ماج الساحل ... فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير ؛ ولا جَرَمَ ألا يكون إلا خَسْفاً بالأرض والماء وما يتصل بهما

* * *

(١) فصلنا هذا المعنى فى كثير من مقالاتنا فى الرسالة كمقالة (حقيقة المسلم) ، و (فلسفة الصوم) وغيرها

فى الكون أصلٌ لا يتغير ولا يتبدل ، هو قانونُ ضبط القوة وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الحكمة . ويقابلهُ فى الانسان قانونٌ مثله لا بد منه لضبط معانى الانسان وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الكمال . وكل فروض الدين الاسلامىّ وواجباته وآدابه ، إنْ هى إلا حركةُ هذا القانون فى عمله ، فما تلك إلا طُرُقٌ ثابتة لخلق الحِسِّ الأدبىّ ، وتثبيته بالتكرار ، وإدخاله فى ناموسٍ طبيعىّ باجرائه فى الأنفس مجرى العادة ، وجعله بكل ذلك قوةً فى باطنها ؛ فتُسمّى الواجبات والآداب فروضاً دينيّةً ؛ وما هى فى الواقع إلا عناصرُ تكوين النفس العالية ، وتكون أوامرَ وهى حقائق[1]

من ذلك أرانا نحن الشرقيين نمتاز على الأوربيين بأننا أقربُ منهم إلى قوانين الكون ؛ ففى أنفسنا ضوابطُ قويةٌ متينة إذا نحن أقررنا مدنيتهم فيها — وهى بطبيعتها لا تقبل إلا محاسنَ هذه المدنية — سبقناهم وتركنا غبارَ أقدامنا فى وجوههم ، وكنا الطبقةَ المُصَفَّاةَ التى يَنْشُدونها فى إنسانيتهم الراهنة ولا يجدونها ، ونمتازُ عنهم من جهة أخرى بأننا لم نُنْشِئْ هذه المدنيةَ ولم تنشئنا ، فليس حقاً علينا أن نأخذ سيئاتها فى حسناتها ، وحماقتَها فى حكمتها ، وتزويرها فى حقيقتها ، وأن نُسيغَ منها الحُلْوةَ والمرة ، والناضجة والفجّة ، وإنما نحن نمحصّها وننتقيها ونُجمع منها الرَّجَحَةَ الحسنةَ ؛ فلا نأخذُ إلا الشيء الصالحَ مكانَ الشيء قد كان دونه عندنا وندعُ ما سوى ذلك ؛ ثم لا نأخذ ولا ندع إلا على الأصول الضابطة المحكمة فى أدياننا وآدابنا ، ولسنا مثلهم متصلين من حاضر مدنيتهم بمثل ماضيهم . بَيْدَ أن العجب الذى ما يفرغ تَعَجّبى منه أن الموسومين منا بالتجديد لا يحاولون أولَ وَهْلةٍ وآخرها الا هدمَ تلك الضوابط التى هى كل ما نمتازُ به ، والتى هى كذلك كل ما تحتاج إليه أوربا لضبط مدنيتها ؛ ويسمون ذلك تجديداً ، ولَهُوَ بأن يسمى حماقةً وجهلاً أولى وأحق

أقول ولا أبالى : إننا ابتلينا فى نهضتنا هذه بقوم من المترجمين قد احترفوا النقلَ من لغات أوربا ، ولا عقل لهم إلا عقلُ ما ينقلونه ؛ فَصَنعتهم الترجمةُ من حيث يدرون أو لا يدرون صنعةَ تقليدٍ مَحْضٍ ومتابعةٍ مُسْتعبِدَةٍ ، وأصبح عقلُهم بحكم العادة والطبيعة ، إذا فكّر انجذب الى ذلك الأصل لا يخرج عليه ولا يتحول عنه . وإذا صح أن أعمالنا هى التى تعملنا كما يقول بعض الحكماء ، فهم بذلك خطرٌ أىّ خطر على الشعب وقوميته وذاتيته وخصائصه ، ويوشك إذا هو أطاعهم إلى كل ما يدعون إليه أن ... أن يترجموه الى شعب آخر ....

* * *

إن أوربا ومدنيتها لا تساوى عندنا شيئاً إلا بمقدار ما تحقق فينا من اتساع الذاتية بعلومها وفنونها ، فانما الذاتيةُ وحدها هى أساسُ قوتنا فى النزاع العالمىّ بكل مظاهره أيّها كان ؛ ولها وحدها ، وباعتبار منها دون سواها ، نأخذ ما نأخذه من مدنية أوربا ونهمل ما نُهمل ؛ ولا يجوز أن نترك التثبت فى هذا ولا أن نتسامح فى دقة المحاسبة عليه

فالمحافظة على الضوابط الانسانية القوية التى هى مظاهرُ الأديان فينا ، ثم إدخالُ الواجبات الاجتماعية الحديثة فى هذه الضوابط لربطها بالعصر وحضارته ؛ ثم تنسيقُ مظهر الأمة على مقتضى هذه الواجبات والضوابط ؛ ثم العملُ على اتحاد المشاعر وتمازجها لتقويم هذا المظهر الشعبىّ فى جملته بتقويم أجزائه . هذه هى الأركانُ الأربعة التى لا يقوم على غيرها بناءُ الشرق

والالحاد والنزعات السافلة وتخانيث المدنية الأوربية التى لا عمل لها إلا أن تظهر الخطر فى أجمل أشكاله . . . ثم الجهلُ بعلوم القوة الحديثة وبأصول التدبير وحياطة الاجتماع وماجرى هذا المجرى . ثم التدليس على الأمة بآراء المقلدين والزائغين والمستعمرين لمحق الأخلاق الشعبية القوية ، وما اتصل بذلك . ثم التخاذل والشقاق وتدابر الطوائف وما كان بسبيلها . تلك هى المعاول الأربعة التى لا يهدم غيرُها بناءَ الشرق

فليكن دائماً شعارنا نحن الشرقيين هذه الكلمة : أخلاقنا قبل مدنيتهم

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) هذا هو الذى ضل عنه مصطفى كمال ومن شايعوه ، ومن قلدوه ، ومن انخدعوا فيه ، ولو فهمه حق الفهم لجدد تركيا وجدد العالم الاسلامى كله ، ولكن الرجل غريب عن هذه المعانى قصير النظر ، فما زاد على أن جدد ثوباً وقبعة ...

الى البغدادى فى بغداد : سنتقدم بعد قليل الى موضوع الزوال والله المستعان ، فقد كنا نتهيب هذا الموضوع إذ هو عندنا ليس الزوال ولكنه نصف المسألة الانسانية كما يقول عن نفسه الرافعى

طب النفس

للأستاذ أحمد أمين

لست أدرى لماذا يؤمن الناس أشد الايمان بمرض أجسامهم ، ولا يؤمنون بمرض نفوسهم ، فاذا شعر أحدهم بمرض جسمى أسرع إلى الطبيب يصف له أعراضه ، ويستوصفه دواءه ، وينفذ أوامره مهما دقت ، ويبذل فى ذلك الأموال مهما جلّت ، ثم هو بمرض نفسياً ، فلا يأبه لذلك ، ولا يعيره عناية ، ولا يستشير طبيباً نفسياً ، ولا يعنى بدرس الأعراض ومعرفة الأسباب ، وقد يلح عليه مرض النفس ، ويصل به إلى اليأس ، فلا يسعى لعلاج ، ولا يجدّ فى معرفة دواء ، كأن نفسه أهون عليه من جسمه ، وروحه أتفه من بدنه

ومن أجل عناية الناس بأجسامهم دون نفوسهم ؛ كان لدينا نظام شامل واف لطب الأجسام دون طب النفوس ؛ فمدرسة لتخريج الأطبـاء حتى للطب البيطرى ، ومعاهدُ للتشريح والتجارب ، وتخصصٌ فى الأمراض ؛ فهذا طبيب عين ، وهذا طبيب أنف وحنجرة ، وهذا طبيب أسنان ، وهذا طبيب باطنى الخ ، وكان لكل حىّ طبيب أو أطباء ، ولكل مدرسة طبيب ، وفى الأمم الراقية لكل أسرة طبيب ، ووجدت المستشفيات فى أنحاء الأقطار ، وعدها الناس عملاً خيرياً يتبرعون لها بأموالهم ، كما عدتها الحكومات ضرورة اجتماعية ترصد لها الأموال فى ميزانياتها ، وأنشئت الصيدليات فى كل حىّ وكل شارع لتلبية طلبات الأطباء والجماهير فى كل وقت إسعافاً للجسم فى مرضه وفى ترفه

وخضعت هذه النظم لسنة الارتقاء ، فهى تساير الزمان ، وتستفيد مما يؤدى إليه البحث والعلم ، وتتكيّف حسب ماتقتضيه الأحوال ، وتجهز بأحدث المخترعات

والعقل عنى به بعض هذه العناية ، فكان أطباء الأعصاب ، ومستشفيات للمجاذيب ، وبحوث وتجارب فى أمراض العقل وعلاجه

أما النفس فحظها من ذلك كله حظ الأرنب بجانب الأسد ، فلا الناس يقدّرون خطورة أمراضها ، ولا تنشأ المدارس لأطبائها ، ولا تؤسس المستشفيات لعلاجها

مع أنى أعتقد أن آلام الناس من نفوسهم أكثر من آلامهم من جسومهم ، وأضرار المجتمعات من مرضى النفوس تفوق أضرارها من مرضى الجسوم ، وللنفس أمراض لا حصر لها ، تختلف كاختلاف أمراض الجسم الى مرض عين ومرض معدة ومرض أمعاء ، فهناك حميات نفسية متعددة كحميات الأجسام ، وهناك تسمم نفسى يشبه التسمم الجسمى ، وهناك ميكروبات نفسية كالميكروبات المادية ، وهناك عدوى بها تصيب النفوس كعدوى الأجسام — وهناك انفعالات تحرق النفس وتضني البدن الى آخر ما هنالك ، ولكل هـذه الأمراض علاجات تختلف باختلاف المرض وباختلاف الشخص ولها أدوية من جنسها ، منها ما يسكن الألم ، ومنها ما يشفى المرض — وهى فى دراستها وتشخيصها وعلاجها أدق وأصعب منالاً وأغمض كشفاً ، والفرق بينها وبين أمراض الجسم وعلاجه كالفرق بين الجسم والنفس

فما أحوجها الى أطباء مهرة ، ومستشفيات صالحة معدة ، ودراسات عميقة منتجة ، ونظم فى ذلك ترقى مع الزمان رقى طب الأجسام

لعل الذى صرف الناس عن علاج نفوسهم الى علاج جسومهم أنهم أو الكثير منهم لا يزالون يسبحون فى دائرة الحس وحده ، ولم يرتقوا الى ملاحظة النفوس وشؤونها ؛ فاذا جرح الانسان جرحاً بسيطاً فى جسمه هرع الى الطبيب يعالجه ويحتاط له ، وإذا كسر عظمه ذهب الى الطبيب ليجبر كسره ، ولكن إذا جرحت نفسه ولو جرحاً عميقاً ، وكسرت ولو كسراً خطيراً احتمل الألم من غير بحث عن علته أو نتائجه أو طرق مداواته لأنه لا يزال مادياً فى إدراكه أولياً فى تفكيره

أو لعل السبب أن الناس لا يؤمنون بأطباء النفوس إيمانهم بأطباء الأجسام ؛ فهم لا يعتقدون فى صلاحيتهم ، ويشكون كل الشك فى قدرتهم على علاجهم ، فيستسلمون للمرض النفسى كما يستسلمون لمرض جسمى استحال شفاؤه ولم يستكشف دواؤه ،

إن كان هـذا فعلى الطب النفسى أن يثبت قدرته ، ويبرهن على نجاحه حتى يقبل الناس عليه ويؤمنوا به

وقد يكون السبب أن الناس يؤمنون بسهولة أمراض النفس وقدرتهم على علاجها والاشتفاء منها من غير طبيب ، فما عليه إن كان حزيناً إلا أن يضحك ، أو منقبضاً إلا أن يتسلى ، وهذا خطأ بين ؛ فأمراض النفوس كأمراض الجسم فيها مايداوى بحمية وفيها ما يستعصى على الطبيب الماهر والخبير الحاذق

* * *

لعلك تزعم أن هذه الناحية من طب النفوس لم تهمل بتاتاً فهناك المدارس للتهذيب ، فيها إصلاح النفوس وفيها دروس الدين والأخلاق لمعالجة الأمراض ، وهناك الوعاظ لارشاد الناس وعلاج النفس ، وهناك العرف والقوانين توجه الناس الى الخير وتحذرهم من الشر ، وفى ذلك تهذيب لنفسهم وإصلاح لجوانب الشر فيهم

ولـكن يظهر لى أنها كلها مع فائدتها لا تكفى ، لأنها — من ناحية — تكاد تكون علاجاً عاماً يقال لـكل الأشخاص ، وتخاطب بها كل النفوس ، كالطبيب يذكر ضرر الافراط فى الأكل ، وأضرار كثرة التدخين ، وفائدة الرياضة البدنية ، وفائدة الاعتدال فى المأكل والمشرب ، وهى قل أن تتعرض للأزمات النفسية الخاصة بكل نفس وما أحاط بها من ظروف خاصة ، ونوع النفس وما يلزم لها من علاج خاص بها ، هى أقرب ما تكون إلى الوقاية لا إلى العلاج ، والاحتياط من الوقوع فى المرض لا لعلاج المرض ، فان تعرضت لعلاج وصفت علاجا عاماً للنـاس على السواء ، إذ ليس فى استطاعتها — غالباً — أكثر من ذلك

ومن ناحية أخرى أكثر ما بأيدينا منها اليوم لم يؤسس على ما وصل اليه العلم الحديث ، ولم يبن على ما استكشف من قوانين علم النفس على قلة ما استكشف منها ، فالدراسة الحديثة أبانت عن اتجاهات كانت غامضة ، وأخطاء كانت ترتكب فى تصور النفس وإدراكها وجرائمها وطرق تهذيبها ، ولا يزال علماء النفس يقرون بأنهم فى أول مراحلهم ، ولم يقولوا فى النفس إلا الـكلمة الأولى ، فـكان من المعقول أن يساير التهذيب ودراسة الأخلاق وعلاج النفس ما وصل اليه علم النفس وعلم الاجتماع ، كما يساير علم طب الأجسام ما يستكشف من مخترعات . فآلات الجراحة اليوم غيرها بالأمس ، والمادة الطبيـة اليوم غيرها بالأمس وهكذا ولـكن ذلك لم يكن

وربما كان أقرب المناحى إلى طب النفس منحى الصوفية ، فقد كان لـكل مريد شيخه يفضى اليه بدخائل قلبه وأزمات نفسه ، ووساوسه وخطراته وآلامه وتوجهاته ، والشيخ يصف لـكل مريد ما يراه أنسب له وأقرب لعلاجه ، ويصف له طرقاً يسلـكها واتجاهات يتجهها وأوراداً يتلوها ، يرى أنها تشفى مرضه ، وتبرىء نفسه ، وله فى كل مريد نظرته وفراسته ، بها يشخص وبها يصف ، ولـكن تكاد تقتصر هذه الحالة بين المريد والشيخ على الأزمات الدينية ، أما ما عدا ذلك من أزمات دنيوية واجتماعية ، فقلما يتناولها المريد والشيخ ، على أنه ، من لـكل مريد بهذا الشيخ الدقيق النظر الصائب الفكر الصادق الفراسة الموفق فى تبيّن المرض ومعرفة العلاج

* * *

وإذا عدمنا مثل هـذا الشيخ وحرمت مجتمعاتنا من نظم وافية شاملة للطب النفسى كالنظم الوافية الشاملة للطب الجسمى فلا أقل من أن نوجه النظر إلى أن يعنى كل شخص بناحيته النفسية عناية لا تقل عن عنايته الجسمية . فضحايا أمراض النفوس كثيرون ، وصرعى المرض لا يحصون ، والالتفات إلى فتك هذا النوع من الأمراض ضعيف فاتر — فهناك صرعى الخوف من الموت ومن الفقر ومن الرؤساء ، وهناك صرعى الشك فى الدين وفى الحياة وقيمتها وفى كل ما يحيط بهم مما فى الأرض وما فى السماء ، وهناك صرعى الحزن لا يسرهم شيء فى الحياة ، ويودون أن يبكوا دائماً ويسودون كل منظر يرونه ، ويحزنون عند ما يحزن الناس ويحزنون عند ما يضحك الناس ، فاذا عدموا أسباب الحزن خلقوها حتى من أعمق منابع السرور — وهكذا تتعدد الصرعى

كمرض السل والسرطان وما إليهما — يبدأ فيهم مكروب النفس صغيراً ثم ينمو شيئاً فشيئاً حتى يفترسهم ، ثم من العجيب ألا يتوجهوا قليلاً ولا كثيراً إلى قتلها قبل أن تقتلهم وهزمها قبل أن تهزمهم ، كأنهم يظنون أن المرض فوق أن يعالج والأمر أيأس من أن يفكر فيه

***

لأمراض النفس أسباب عدة : من حالة صحية ، وبيئة اجتماعية ، وبذور ميكروبات تسربت اليها من كتب قرأتها ، ومقالات طالعتها ، وأحاديث سمعتها ، ومناظر رأتها إلى غير ذلك ، ولعل أهم مرض نفسي يصيب طائفة المثقفين سببه أنهم لا يريدون أن يكونوا أنفسهم ويريدون أن يكونوا غيرهم

لقد خلقت النفوس البشرية متشابهة فى بعض جهاتها ، مختلفة فى بعض جهاتها ، شأنها فى ذلك شأن الوجوه ، فكل وجه فيه عينان وأنف بين العينين وفم تحت الأنف وذقن تحت الفم ولكن مع هذا الاشتراك لكل إنسان وجهه الخاص به لا يشاركه فيه غيره ، وكذلك النفوس تشترك فى اللذة والألم ، وتشترك فى أهم منابع اللذة ومنابع الألم وتشترك فى الغرائز الأساسية وما إلى ذلك ، ومع هذا فلكل انسان نفسه الخاصة ، لا يساويها فى جميع وجوهها غيرها

ومما ألاحظه أن نفس كل انسان إن سارت على فطرتها ، وعرفت أن تتغذى بما يناسبها ، وطلبت لها مثلاً أعلى يتفق وطبيعتها ، عاشت فى الأغلب راضية مطمئنة ، فان خالفت فطرتها وحاولت أن تكون غيرها أظلمت وأصابها الحزن والقلق والاضطراب ، وفقدت سعادتها وهناءها ، واطمئنانها ورضاها ، ومحال أن تنال ما يخالف فطرتها ، كما هو محال أن يكون الوجه الأسود أبيض ، أو الأبيض أسود ، أو الطويل قصيراً ، أو القصير طويلاً

يسعد الانسان إذا عرف طبيعته وحدوده التى يستطيع أن يصل إليها ، ونوع الرقى الذى يمكن أن يبلغه ، فان حاول أن يكون غير ذلك كان فى الحياة « ممثلاً » لا يعيش عيشته الطبيعية ، فهو فقير يمثل دور ملك ، وصعلوك يمثل دور وزير ، وطفل يمثل شيخاً هرماً ، ورجل يمثل دور امرأة ، ومحال أن يوائم بين نفسه الحقيقية والدور الذى يمثله إلا بمقدار ما يظهر على المرسح ، فان هو حاول أن يطيل ذلك بعد دوره فجزاؤه الهزء به ، والسخرية منه ، وقلق نفسه ، واضطراب شأنه

فأكثر أسباب اضطراب المثقف ناشئ من أنه غبي يريد أن يكون ذكياً ، أو ميال بطبعه إلى العزلة والانكماش ، يريد أن يكون وجيهاً شهيراً ، أو عالم يريد أن يكون أديباً ، أو أديب يريد أن يكون عالماً ، أو صريح يريد أن يخادع ويمالق ، أو خجل يريد أن يكون وقحاً ، أو متزن نواحى العقل يريد أن يكون نابغاً شاذاً الخ . فهو يحاول ويحاول ، ثم يفشل ويفشل ، لأنه يكلف النفس ضد طباعها ، وهذا الفشل يهز نفسه هزة عنيفة تسبب له القلق الروحى والاضطراب النفسى ، هو بذلك يريد أن يكون إنساناً صناعياً وهو مخلوق إنساناً طبيعياً ، فالتوفيق محال ، فخير نصيحة لهذا وأمثاله أن تقول له : « كن نفسك ، ولا تنشد إلا مثلك »

أحمد أمين

أقطاب الرواية المصرية

عز الملك المسبحي

جندي ومؤرخ وسياسي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان المسبحي رجل حرب ورجل قلم؛ وكان سليل أسرة حرانيـة [1] نزحت إلى مصر قبل قيام الدولة الفاطمية، واستوطنت مصر وسطعت فيها؛ وكان احدى هاته الشخصيات القوية البارزة التي كانت الدولة الفاطمية ابان قوتهـا وفتوتها تحشدها حولها، وتوليها ثقتها وعطفها، وتؤثر أن تختارها من غير المصريين البلديين. بيد أن المسبحي كان مصرياً بمولده، مصرياً بتربيته وبيئته، وقد خصص حياته ومواهبه الممتازة لدراسة مصر وأحوالها وتاريخها؛ ولو لم يذهب الزمن بآثاره ولا سيما بموسوعته الضخمة عن تاريخ مصر، لكان بين يدينا الآن أعظم أثر عن مصر وتاريخها في المرحلة الأولى من الحكم الفاطمي، أعني مرحلة العظمة والبهاء.

ولد المسبحي بمصر حسبما ذكر في تاريخه ونقل الينا الرواة المتأخرون في العاشر من رجب سنة ست وستين وثلثمائة (٩٧٧ م) [2]؛ وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله ابن احمد بن اسماعيل المعروف بالمسبحي؛ ولم نعثر على تفاصيل عن حياته الأولى ولا عن تربيته وتكوينه، ولكن يبدو لنا من آثاره التي نسبت اليه، والتي انتهت الينا شذور منها أنه تلقى ثقافة أدبية علمية واسعة متعددة النواحي، كذلك يظهر أن المسبحي بدأ حياته العامة جندياً ورجل ادارة، لأنه كان يرتدي زي الجند، ولأنه تقلد بعض المناصب الادارية الهامة؛ وقد ذكر لنا المسبحي في تاريخه أيضاً، أن اتصاله بخدمة الحاكم بأمر الله يرجع إلى سنة ٣٩٨ هـ؛ بيد أنه تقلب قبل ذلك في بعض الوظائف العامة، فتقلد أعمال القيس والبهنسا من أعمال الصعيد، ثم تولى ديوان الترتيب [1] وهو يومئذ من مناصب الوزارة الهامة، ثم اصطفاه الحاكم بأمر الله وعينه في بطانته الشخصية في سنة ٣٩٨ هـ.

وكان الحاكم يومئذ فتى في نحو الثالثة والعشرين من عمره؛ ولكنه كان في ذروة القوة والسلطان والبطش، وكانت هذه الفترة بالذات من أروع فترات حكمه، وفيها فتك بكثير من الوزراء ورجال الدولة (سنة ٣٩٥ — ٤٠٠ هـ) ويروي لنا المسبحي نفسه في تاريخه طائفة من الحوادث الدموية التي شهدها في هذا العهد [2]؛ وكان الحاكم دائم الفتك بالزعماء والكبراء لأسباب تتصل بسياسته العامة أو لريب ومخاوف تساوره، ولكن المسبحي تبوأ لدى الحاكم مركزاً من النفوذ والثقة لا تتطاول اليه الشكوك والريب، ولا تتجه اليه النقمة النادرة؛ بل يظهر أن المسبحي كان من أخص خواص الحاكم، حسبما تدل به الواقعة الآتية التي يرويها لنا في تاريخه، قال:

«قال لي الحاكم، وقد جرى ذكر والده العزيز: يا مختار، استدعاني والدي قبل موته، وهو عاري الجسم، وعليه الخرق والضماد، قال فاستدعاني وقبلني وضمني اليه وقال: واغمّي عليك يا حبيب قلبي! ودمعت عيناه، ثم قال: امض يا سيدي فالعب فأنا في عافية. قال الحاكم: فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله تعالى العزيز اليه» [3]

ويقول لنا ابن خلكان إن المسبحي نال لدى الحاكم حظوة وسعادة، وإنه كانت له مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها تاريخه الكبير [4]، وتبدو دلائل هذه الصداقة التي توثقت عراها بين الحاكم والمسبحي في كثير مما يرويه المؤرخ في تاريخه وينقله عنه الكتاب المتأخرون مثل المقريزي وابن تغري بردي عن عصر الحاكم بأمر الله، وعن أحواله وتصرفاته الشخصية، ففي كثير من هذه المواطن يبدو المسبحي الصديق المخلص والمستشار الأمين

(١) نسبة إلى حران، وهي مدينة قديمة كانت تقع بين الموصل والشام على مقربة من الرها

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٤

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٣

(٢) نقله المقريزي عن المسبحي في الخطط (الطبعة الأهلية) ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣

(٣) نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٤

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٣

وهذه حقيقة تلفت النظر ، فان الحاكم كان أميراً خطر النزعات عنيف الأهواء ، وقلما نجا من نقمته أحد من رجال الدولة الذين خدموه . بيد أن الذهبي يقدم الينا فى تاريخه تعليلا لهذه الظاهرة ، هو أن المسبحى كان رافضياً (١) . والروافض فرقة من غلاة الشيعة تغلو فى حب على بن أبى طالب وفى بغض أبى بكر وعثمان ومعاوية ومن اليهم ، وقد اختلف فى سبب تسميتهم بالروافض . وهنا نلمس سر هذه الصداقة التى توثقت بين المؤرخ وأميره ، فقد كان الحاكم ، جرياً على سنة آبائه ، يصطفى غلاة الشيعة أبناء مذهبه ويوليهم مناصب النفوذ والثقة ، وكان المسبحى يتمتع فوق صفته المذهبية بخلال باهرة تضاعف مكانته ، فقد كان عارفاً بعلوم عصره ، وكان راوية ومحدثاً ساحراً ، وكان أيضاً شغوفاً بعلم النجوم الذى يشغف به الحاكم بأمر الله ، وقد وضع فيه أكثر من مؤلف (٢) ؛ وهذه كلها عوامل وظروف تلقى أكبر الضياء على طبيعة هذه الحظوة التى نالها المؤرخ فى بلاط الحاكم بأمر الله .

وقد استطالت هـذه الحظوة حتى وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ؛ ولا نعرف ماذا كانت صلة المسبحى بالبلاط الفاطمى فى الأعوام التالية ، والظاهر أنه اعتزل الحياة العامة ، وانقطع للبحث والكتابة ، ووضع كثيراً من مؤلفاته فى هذه الفترة التى استطالت تسعة أعوام أخرى حتى وفاته فى شهر ربيع الثانى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م)

— ٢ —

يقدم إلينا ابن خلكان ثبتاً حافلاً من مصنفات المسبحى ، وفى هذا الثبت القوى المتباين مبنا مايدل على ما كان يتمتع به هذا الذهن الممتاز من نواحى التفكير والثقافة المتعددة ، فقد ألف المسبحى فى التاريخ والجغرافيا والأدب والاجتماع والفلك كتباً بل موسوعات ضخمة ، واليك مفردات هذا الثبت الذى يقدمه الينا ابن خلكان : كتاب التاريخ الكبير فى ثلاث عشرة ألف ورقة ، كتاب التلويح والتصريح فى معانى الشعر وغيره فى ألف ورقة ، كتاب الراح والارتياح فى ألف وخمسمائة ورقة ، كتاب الغرق والشرق فى ذكر من مات غرقاً وشرقاً فى مائتى ورقة ، كتاب الطعام والادام فى ألف ورقة ، كتاب درك البغية فى وصف الأديان والعبادات ثلاث آلاف وخمسمائة ورقة ، قصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم ألف وخمسمائة ورقة ، كتاب المفاتحة والمناكحة فى أصناف الجماع ألف ومائتا ورقة ، كتاب الأمثلة للدول المقبلة وهو فى النجوم والحساب خمسمائة ورقة ، كتاب القضايا الصائبة فى معانى أحكام النجوم ثلاث آلاف ورقة ، كتاب جونة الماشطة فى غرائب الأخبار والأشعار والنوادر ألف وخمسمائة ورقة ، كتاب الشجن فى أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه ألفان وخمسمائة ورقة ؛ كتاب السؤال والجواب ثلثمائة ورقة ؛ وكتاب مختار الأغانى ومعانيها ؛ وغير ذلك من الكتب ؛ ويقول لنا ابن خلكان أيضاً إن مصنفات المسبحى بلغت نحو الثلاثين (١)

وهو تراث حافل ضخم ينم عن غزارة مدهشـة ، ويشهد من حيث تنوعه لصاحبه بطرافة يندر توفرها فى آداب هذا العصر ؛ بيد أننا لم تتلق من هذا التراث شيئاً يذكر ، ولا نكاد نظفر فى عصرنا للمسبحى بأثر تام أو فصل تام ، وقد اشـتهر المسبحى بالأخص بتاريخه الكبير ، الذى يصف لنا محتوياته فى مقدمته فيما يلى : « هو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ، وذكر نيلها ، وأحوال من حل بها الى الوقت الذى كتب فيه ، وأشعار الشعراء ، وأخبار المغنين ، ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم » (٢) ، وإذن فقد كان تاريخ المسبحى ، سواء من حيث حجمه أو موضوعاته موسوعة قوية شاسعة ؛ ولم يصلنا هذا الأثر الضخم الذى يلقى بلا ريب أعظم الضياء على تاريخ الدولة الفاطمية فى عصرها الأول ، ولا سيما عصر الحاكم بأمر الله ، وشخصيته الغريبـة الفذة التى درسها المسبحى عن كثب ؛ ولـكن الشذور القوية الممتعة التى وصلتنا منـه على يد المقريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين عن أحوال الدولة الفاطميـة وقصورها وخزائنها وصروحها

(١) راجع السيوطى — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٦٥٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٥٣

(٢) « « « « «

وبذخها وبهائها ، تنوه بقيمة هذا الأثر ونفاسته وطرافته ، وتدل أيضاً على أن مؤلفه قد تناول خطط مصر وآثارها ومساجدها في كثير من الافاضة

وقد لبث تاريخ المسبحي مصدراً خصباً لمؤرخي مصر الاسلامية حتى عصر متأخر جداً ؛ فالمقريزي وابن تغري بردى والسخاوي والسيوطي وغيرهم يقتبسون منه ويشيرون إلى وجوده ؛ وكذلك يذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » عما يأتي : « ومنها تاريخ مصر لعز الملك محمد بن عبد الله المسبحي الحراني المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، وهو كبير في اثني عشر مجلداً ؛ واختصره تقي الدين الفاسي والذيل عليه لابن مُيَسَّر » (١) ؛ وفي ذلك مايدل بأن تاريخ المسبحي كان موجوداً حتى القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ؛ بل هنالك ما يدل على أنه كان موجوداً كله أو بعضه حتى القرن الثاني عشر (الثامن عشر) ؛ فقد ورد في معجم مخطوطات الاسكوريال الذي وضعه الغزيري اللبناني (Casiri) باللاتينية في سنة ١٧٧٠ بأنه يوجد في مكتبة الأسكوريال العربية (أربعة مجلدات من تاريخ مصر وأرضها وعجائبها مرتب حسب السنين لغاية سنة ٤١٤ هـ ، تصنيف محمد بن عبد الله بن عبد العزيز المسبحي (كذا) (Almisibi) (معجم الأسكوريال رقم ٥٣١ فقرة ٢) (٢) ، وليس من شك في أن المقصود هو تاريخ مصر للمسبحي ، وذلك رغم تحريف الاسم . على أننا عند مراجعة فهرس الأسكوريال الحديث الذي وضعه ديرنبورج ، ثم ليفي بروفنسال (سنة ١٩٢٨) لم نجد في كتب التاريخ ذكراً لكتاب المسبحي ، مما يدل على أن ما كان موجوداً منه بقصر الأسكوريال في القرن الثامن عشر قد ضاع شأن كثير من الآثار التي أثبت الغزيري وجودها في معجمه

بيد أنه يبدو من هذا الوصف الذي أثبته الغزيري في معجمه أن المسبحي استمر في تتبع حوادث مصر وحوادث عصره حتى سنة ٤١٤ هـ ، وربما استمر إلى ما قبيل وفاته في سنة ٤٢٠ هـ إذا لم يكن الغزيري قد وقف على نهاية كتابه . هذا وقد كتب ابن ميسر المصري المتوفى سنة ٦٧٧ هـ ذيلاً لتاريخ المسبحي ، يبدأ فيه من حيث انتهى المسبحي ، وسماه « أخبار مصر » ؛ وانتهى الينا منه قسم يبدأ في سنة ٤٣٩ هـ وينتهي سنة ٥٥٣ هـ ، وهذا الذيل هو الذي أشار اليه صاحب كشف الظنون فيما تقدم (١)

هذا وقد كان المسبحي شاعراً رقيقاً وله شعر جيد نقل الينا ابن خلكان شيئاً منه ، ومن قوله يرثي أم ولده :

ألا في سبيل الله قلب تقطعا ... وفادحة لم تبق للعين مدمعا
أصبراً وقد حل الثرى من أوده ... فلله هم ما أشد وأوجعا
فيا ليتني للموت قدمت قبلها ... وإلا فليت الموت أذهبنا معاً

وقوله من قصيدة يرثي بها والده

بأبي لجمت فأي ثكل مثله ... ثكل الأبوة في الشباب أليم
قد كنت أجزع أن يلم به الردى ... أو يعتريه من الزمان هموم

وقد رأينا أن المسبحي كتب فيما كتب كتاب « التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره » مما يدل على أنه كان راسخ القدم في فنون الشعر رسوخه في النثر

(النقل ممنوع) محمد عبد الله عنان

(١) راجع كشف الظنون (طبعة فلوجل) ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨
(٢) Casiri - Bibliotheca arabico - Hispana Escurialensis

(١) وقد نشر هذا القسم المستشرق الفرنسي هنري ماسيه (راجع مقدمته الفرنسية في شرح الصلة بين الكتابين)

من تراثنا العلمي

٣ – كتاب في البيزرة

وصف وتحليل لنسخة فريدة من كتاب مفقود ، في علم ضائع ، لمؤلف مجهول

للأستاذ علي الطنطاوي

تتمة

وللصيد لذّة مشتركة موجودة في طباع الأمم ، وكأنها في سكان البدو والأطراف أقوى لمصاقبتهم الوحش ومنازلتهم إياها ؛ فلا تزال تراهم لها ذاكرين وبها متمثلين ، ومنها طاعمين ، حتى أن نساءهم ليتصيدن على الخيل ؛ ذكر ذلك بعض الرواة فقال : أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وإذا هم يتذاكرون المغربين وعشقهم وصبابتهم ، فقال عمر : أحدثكم ببعض ذلك : إنه كان لي خليل من بني عذرة (وقصّ قصة الدوحة ، وهي على طولها ، وعلى أنها أخذت من الكتاب نحواً من عشر صفحات من أجمل قصص الحب في الأدب العربي ، وهي مشهورة لم نروها لطولها)

وربما ألث السحاب[1] وجرت الأودية وتتابع السيل ، وثلجت الصحراء ، حتى يعم ذلك معاقل الأروى ، وكناس الظباء ، ومرابض المها ، ومفاحص القطا ، ومسالك الطير من الهواء ؛ فتلجأ الصوار[2] والسرب والسانة والرعيل والزف الى العمارة ؛ فتؤخذ قبضاً وتكون حالها في استسلامها ، وضعف من يقدر عليها في تلك الصورة كقول علي بن الجهم في وصف غيث :

وحتى رأينا الطير في جنباتها تكاد أكف الغانيات تصيدها

ولا يكون لصيدها ذلك الموقع ، على أن ناساً قد أمكنهم مثل ذلك فرأوا تركه ، وقالوا إنما جاءت إلينا وعاذت بجوارنا ، فنؤمنها ولا نروعها ولا نجور عليها ، وفعل مثل ذلك مجير الجراد واسمه حارثة بن حنبل من طيء ، وكان الجراد قد وقع في أرضه ؛ فبدأ بالوقوع حول خبائه ؛ فخرج أهل الحي ليصيدوه ؛ فركب فرسه وأشرع إليهم صدر قناته وقال : ما كنت لأمكنكم من جاري

(١) ألث والالثاث والثثة الالحاح والاقامة ودوام المطر

(٢) الصوار جماعة البقر وجمعه صيران

وفخر بذلك قومه ، فقال هلال بن معاوية التغلبي :

ومنا الكريم أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد
وزيد لنا ولنا حاتم غياث الورى في السنين الشداد

وفعل مثله رجل من بني عبد الله بن كلاب يقال له همّام ، وبات بأرض خلاء ليس معه أحد ؛ فأوقد ناراً ، وقد كان صاد صيداً ، فلما رأى الذئب النار أتاها ، وذلك من شأنه إذا رأى النار ، فلما قرب الذئب منه وهو غرثان أقبل يتقرش ما يرميه همّام من العظام ولا يراه ، فلما تبينه رمى إليه بقية صيده ولم يرعه ، وأنشأ يقول :

يا رب ذئب بأسل مقدام منجرد في الليل والاظلام
عاود أكل الشاء والأنعام قد ضافني في الليل ذي التمام
في ليلة دانية الأرزام يقرش ما ألقى من العظام
فبات في أمني وفي ذمامي مستدفئاً من لهب الضرام
آثرته بالقسم من طعامي ولا يخف نبلي ولا سهامي
ولو أتى غيري من الأقوام من اللئام لا من الكرام
إذن للاقى عاجل الحمام

وأخبرني من وثقت بصدقه عن رجل من جلة أهل همذان أن الثلج كثر في ضياعه حتى لجأت إليها عانات كثيرة ؛ فأخذها وكلاؤه ولم يحدثوا فيها حدثاً وكتبوا إليه يخبرها ؛ فكتب إليهم أن أقيموا لها قضيا وعلفاً الى أن ينحسر الثلج ؛ فإذا انحسر الثلج فخلوا سبيلها واحموها حتى تصل الى أبعد موضع من العمارة ففعلوا ذلك

وتلجأ أيضاً الى الأنس والعمارة إذا أجدبت السنة وعدمت الكلأ ، وذكر هذا المعنى ابراهيم الموصلي في قوله يرثي أخاه اسمعيل بن جامع المغني ، فقال :

وإني واسمعيل يوم فراقه لكالغمد يوم الروع فارقه النصل
فان أغش قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل
يذكرنيك الخير والشر والتقى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزهاً وألقاك في محمودها ولك الفضل

وقد زعم قوم أن هذا الشعر لمسلم بن الوليد الأنصاري

ومثله لآخر :

تخرم الدهر أشكالي فأفردني منهم وكنت أراهم خير جلاس

وصرت أصحب قوماً لا أشاكلهم والوحش تأنس عند الحل بالناس

وأخبرني مخبر عن أبي العباس الخ . . عن المعتصم أنه أوغل يوماً في الصيد وحده ، فبصر بقانص يصيد ظباءً فاستدناه وقال : حدثني أعجب ما رأيت في صيدك ، فقال :

خربقت الشارع التي تردها الظباء ؛ فلما شمت الخريق صدرت عطاشاً ، ثم عادت من غد فانصرفت أيضاً عطاشاً ، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها ، فلما جهدها العطش رفعت رؤوسها الى السماء فأتاها الغيث فما انصرفت حتى رويت وخاضت في الماء

وذكرت العلماء بطبائع الحيوان أن الوحش ربما انحازت الى العمران عن مواضعها من الجبال والبر في الفصل الذي يتصل بفصل الشتاء ؛ فيستدل بذلك أهل البلدان على قوة شتاء تلك السنة وشدة برده وثلجه لأنها تحس في الجبال بتغير الهواء وبرد شديد ؛ فتستدل بذلك على ما بعده من قوة البرد وتخاف الهلاك فتلجأ الى العمارة

(باب) من كان مستهتراً بالصيد من الأشراف : اسماعيل ابن ابراهيم الخ . . وحمزة بن عبد المطلب الخ . . ومن خلفاء بني العباس الخ . . الخ . . (وهو باب طويل حافل بالأخبار الممتعة ، والأشعار المستملحة)

(باب) صفة البواشق وذكر ألوانها وشياتها وأوزانها وصفة الفاره منها : فالأحمر الأسود الظهر جيد صبور على الكد ، والأحمر الظهر والبطن رخو ماله جلد الخ ...

وأكثر ما رأيناه من أوزانها مائة وثلاثون درهماً ، وأقله خمسة وتسعون الخ ...

(باب) في ضراوة الباشق وفراهته وما يصيد من الطرائد المعجزة التي هي من صيد البازي وذكر علاجات البواشق وعللها وما خلص منها من العلل وأعجب ، وذكر القرنصة وذكر ما عاش عندي منها بالقاهرة حرسها الله ، وذكر ما يحتاج إليه في القرنصة من الخدمة ، وذكر السبب الذي استحقت به التقدمة على البزاة إذ كان مؤلفو الكتب يقدمون البازي على سائر الجوارح

(فصل) صفة ضراوة الباشق وهو وحشي ، يحتاج الباشق الى أن يكون على يد رفيق من البيازرة يعرف ما يعمل به ، وهو أن يخيط عينيه إلى أن يكلب على الطعم ومقدار ذلك سبعة أيام الخ . . . فاذا كلب كلباً تاماً على الطعم فافتحه وأطعمه الخ . . .

فاذا لم يبق عليك من إجابته شيء على ما وصفنا ، فخذ له من طير الماء الفرافير ولقفه إياها الخ ... الخ ...

(فصل) ذكر الضراوة على البيضاني والمكحل

إذا أردت أن يصيد الباشق البيضاني والمكحل الخ . . . وقد رأيت من فراهة البواشق مالم أر مثله قط ، فمنها باشق أحمر كبير الخ ... ومن قوة البواشق ثلاثة لم يسمع بمثلها قط الخ ... وكان لنا باشق وحشي الخ . . . ولم أر مثله إلا باشقاً كان لمولانا صلوات الله عليه (يعني العزيز الفاطمي) ، فإنه أمرني في بعض الليالي أن أشبعه وشغل هو صلى الله عليه بطير الماء الخ . . . وإنه كان لنا باشق يعرف بباشق ابن حوفية ، وكان يكون على يد أمير المؤمنين صلى الله عليه الخ ... وهذا لم أر مثله إلا من باشق كان الخ ... وقد كان عندي باشق حوام الخ ... الخ

(فصل) صفة علاج القرنصة وذكر ما تحتاج إليه من آلتها

(فصل) ذكر علاج القرح في جناح الباشق وكيف يخرج

(فصل) صفة علاج الدود

(باب) في صفة البزاة وذكر شياتها وألوانها وأوزانها وضراوتها والحوادث التي تحدث لها وعلاجاتها وما تحتاج إليه من الخدمة في قرنصتها

(فصل) صفة شياتها

(فصل) ذكر أوزانها

(فصل) صفة ضراوة البازي : إذا وقع البازي إلى الصياد فسبيله أن يخيط عينيه الخ ...

وقد كان لي باز ، وكان الخ ...

وكان عندنا باز حمل إلينا من دمشق الخ ...

ولقد بلغنا في صيد البازي خبر عجيب ، لم نسمع بمثله ، وذلك أن مسلماً دخل إلى بلد الروم الخ ...

(فصل) ذكر ما يحتاج إليه البازي في القرنصة[1]

(١) قال الشيخ داود الأنطاكي : وأما القرنصة فعبارة عن اراحة الطائر مدة سلومة عن الصيد ؛ وتكون غالباً للبزاة ، ووقتها من دخول ايار

(فصل) ذكر سياسة القرق

(فصل) ذكر الأدوية والعلاجات وما يستدل به من القرق[1] على كل علة

(فصل) ذكر ما يحدث الجص وصفة علاجه

(فصل) ذكر علاج النفّس

(فصل) ذكر علاج البشم

(فصل) ذكر علاج البياض إذا أصاب عين البازى

(فصل) ذكر ما يولد القمل فى البازى وصفة علاجه

(فصل) ذكر علاج المسمار إذا أصاب كف الجارح

(فصل) ذكر ما يحدث الورم فى الكفين وصفة علاجه

(فصل) ذكر علاج القلاّع

(فصل) ذكر مايتبين به كون الدود فى البازى وصفة علاجه

(فصل) صفة علاج الحرّ

(فصل) صفة علاج مخاليب الجارح إذا تقلمت

(فصل) صفة علاج البرد

(فصل) صفة علاج اعوجاج ريش الجناح

(فصل) صفة علاج العقر إذا أصاب كف البازى

(فصل) ذكر ما يحدث السدة فى المنخرين وصفة علاجهما

(باب) فى تفضيل الصقور على الشواهين لما فيها من الفراهة وهو السبب الموجب لتقدمها وذكر ألوانها وأوزانها وصفة ضراءتها ، (وفيه فصول طويلة كالذى مرّ فى باب البواشق وباب البزاة)

(باب) فى صفة الشواهين وذكر ألوانها وأوزانها وصفة ضراءتها

(باب) السقاوات وذكر ألوانها وأوزانها وضراءتها ، وما تصيده من الوبر والريش ، وذكر ما يستدل به على جيدها ورديئها

(باب) العقبان الخ . . .

(باب) الزماجة الخ . . .

(ذكر) ما قيل فى العقاب من الشعر المستحسن

(باب) صيد الفهد الخ . . .

(ذكر) الصيد بالفهد وما يستحسن منه الخ . . . وقال بعض الشعراء الخ . . . (وفى هذا الفصل كثير من الأشعار والأخبار الجيدة)

(ذكر) ما قيل فى ابتذال الملك نفسه فى الصيد بهذا الضارى ومباشرته له الخ . . . (وفى هذا الفصل أشعار كثيرة)

(باب) فى صفة الظباء وذكر مواضعها التى تأويها وصيدها وما فيها من المنافع ، وما قيل فى ذلك من الشعر

(باب) فى ذكر كلاب سلوق وخصائصها وصيدها وعللها ودوائها ، وما قيل فيها من الشعر (وفيه فصول وقد أورد المؤلف فى بعضها طائفة صالحة من الشعر)

(باب) ذكر ما قيل فى الجوارح وما وصفت به من الشعر المستحسن لمتقدم ومتأخر ، (وفيه فصول)

(باب) صيد طير الماء فى القمر بالبازى والباشق ، وهو باب تفردنا به دون غيرنا ولم نعلم أحداً سبقنا اليه من مؤلفى كتب البيزرة من المتقدمين (وهو آخر أبواب الكتاب) ثم تأتى الزيادات التى أشرنا اليها فى صدر مقالنا السابق

* * *

هذا وصف موجز ، وبيان لقيمة هذا الكتاب الجليل ، وإنا لنرجو أن يهيء الله له ناشراً ، يسرع إلى طبعه ليستفيد منه أهل الأدب ، وأصحاب هذه الصناعة ، ويأخذ مكانه فى المكتبة العربية ، فإن مكانه لا يزال خالياً ، ولا يسده اليوم فى الدنيا كتاب غيره ، وإنا لنرجو أن تعنى بأمره « لجنة التأليف والترجمة والنشر » ويكون لها فى نشره مأثرة جديدة ، تضم إلى مآثرها الجمة وأياديها الكثيرة على الثقافة والأدب ؟

على الطنطاوى

(١) القرق للطائر كالزرق وزناً ومعنى ، وهو بمنزلة البول من الانسان

دراسات فى النقد [1]

طريقة أرسطو فى النقد الأدبى

بقلم محمد رشاد رشدى

كتب (أوسكار وايلد) مرة يقول: إن أعلى أنواع النقد هو سجل الروح. فالناقد لا يرى فى العمل الفنى أكثر من وحى يوحى اليه بعمل جديد شخصى قد لا يكون بينه وبين العمل المنتقد أى وجه من وجوه الشبه ، هذا الرأى (لأوسكار وايلد) يصف لنا مدرسة بأجمعها من مدارس النقد - أعنى بها مدرسة الشعوريين . وفى ضوء هذه المدرسة سأحاول أن أستخلص طريقة (أرسطو) فى النقد ومدرسته . فاذا ما فرغت من هذا حاولت أن أناقش هاتين المدرستين مع أى مدرسة أخرى قد تمت إليهما بسبب

ولأجل أن تكون المناقشة جلية واضحة سأبدأ الآن بأن أنتطف من بعض النقاد نبذاً كتبوها عن شكسبير

كتب الناقد الفرنسى (تين) عن الشاعر الكبير فقال: « أظهر ما فى شكسبير خياله القوىّ الذى لا يعرف قناعة أو راحة ، فهو يبعثر الاستعارات فوق كل ما يكتبه ، وفى كل لحظة تتغير خواطره إلى صور قوية واضحة ، ويعرض لنا عقله رسومات وأشكالاً متتابعة ، وشكسبير لا يرى الأشياء أبداً فى هدوء . بل إن قوى عقله جميعها تتركز فى الصورة أو الخاطر الذى يعالجه تركزاً علك عليه كل نفسه وعتص كل قواه الأخرى . إن كتابنا المتوسطين يجعلون كل همهم فى أن تكون كتاباتهم منطقية واضحة جلية وهم فى الغالب يصيبون ما يقصدون ، بيد أن شيئاً واحداً يبقى بعيداً عن متناولهم . ألا وهو الحياة

أما شكسبير فهو على عكس هذا يدع الوضوح والمنطق لنفسيهما ويجعل كل همه أن يصيب ما يكتبه الحياة والحركة . ولهذا السبب يبدو شكسبير لنا غريباً وقوياً ، مبدعاً وخالقاً أكثر من أى شاعر من شعراء عصره أو غير عصره . أبدع من وصف النفس البشرية ، وأبعد الشعراء عن المنطق وتفكير القدماء المتزن ، وأقدرهم على أن يثير فى النفس دنيا من الأشكال والصور الحية التى لا تموت »

وكتب (كارليل) عن نفس الشاعر يقول: « إنه لفيما أسميه رسم الصورة - معالجة الرجال والأشياء تكون عظمة شكسبير . فعظمة الرجل تأتى يقيناً من هذه الناحية - من العين المبصرة ! تلك هى العين التى تكشف لنا عن الموسيقى الكامنة فى الخلق . عن الفكرة الجليلة التى قد ضمنتها الطبيعة مخلوقاتها جميعاً . على أن الشاعر لأجل أن تكون لديه هذه الهبة يجب أن يكون عنده من العقلية القوية ما فيه الكفاية . فان امتلك الرجل عقلية قوية كان شاعراً فى كلامه . فان لم يستطع هذا كان - وذلك أفضل وأجدى - شاعراً فى أفعاله

وكتب (سير والتر رولى) عن شكسبير فقال: « إن قوة خياله لا تسمح له بأن يجد الراحة فى فكرة أو ناحية واحدة فهو فى استطاعته أن يدرس حياة الرجال مثلما يدرس المرء الحياة على ظهر باخرة . وهو دائم الاهتمام بما يحدث يومياً بين أفراد العائلة الانسانية ، غير أن للصورة دائماً فى عقله أساس واحد ترتكز عليه ، ذلك أنه دائم التفكير فى البحر - البحر الذى لا يعرف لقوته حداً والذى لا يسيره عقل أو منطق ، والآن من الواضح أن النقاد الثلاثة مشتركون جميعاً فى تحديد الصفات الأساسية التى تكون عظمة شكسبير كما أنه من الواضح أيضاً أنهم يختلفون كل الاختلاف فى الطرق التى سلكوها فى نقدهم . فمع (تين) نرى أن شاعرية شكسبير إنما تأتى من أنه أبعد الناس عن المنطق العادى وتفكير القدماء المتزن ؛ ومن (كارليل) نعلم أن ميزة الشاعر الأساسية فى أن تكون عقليته ممتلئة ناضجة ؛ ويبدو من هذا أن كلا من الناقدين يعتقد أن النقد إنما هو سجل روح الناقد ونفسه ، « فتين » العاطفى القوى الخيال يزدرى المنطق العادى ، ويرى فيه عقبة فى سبيل الشعر ، و « كارليل » الذى كان اعتماده فى حياته على فكره دون عاطفته يرى أن العقل وحده جدير بأن يخلق الشاعر وأن يجعله مبدعاً عظيما

أما (رولى) فهو لا يفعل شيئاً من هذا ، فهو يهتم فقط بأن يوضح ويعلق ، وأن يشرح ويعلل دون أن يعنى بالمدح أو بالحط من قيمة الأشياء ، ونحن فى الواقع لا نستطيع أن نحكم

(١) هذه هى أولى دراسات فى النقد الأدبى الغربى سأتبعها بدراسة تفصيلية لتطور النقد عند الانجليز منذ نشأته الى وقتنا الحال

ما إذا كان تفكير شكسبير الدائم فى البحر ، البحر الذى لا يعرف لقوته حداً والذى لا يسيره عقل أو منطق ، يزيد فى شاعرية الشاعر أو ينقص منها . ونحن لا نرى النقد هنا سجلاً لروح الناقد ومشاعره ، وإنما كل ما نراه هو وضوح فى الأسلوب ودقة فى الوصف وقوة فى المنطق ، وتلك هى مدرسة أخرى من مدارس النقد تختلف عن مدرسة (أوسكار وايلد) ينحو النقد فيها منحى البحث العلمى حيث لا تجد لمشاعر الناقد نفسه أو لإحساسه الشخصى إزاء ما ينتقده أثراً من الآثار

تلك هى المدرسة الفكرية أو الاتباعية ؛ وقد كان أول من أسسها الفيلسوف الأغريقى (أرسطو)

ونحن لا نحس هنا أثراً لذات الناقد ؛ فهو بعيد كل البعد لا نراه إلا كما نرى الرجل العلمى من خلال بحثه — الفكر والمنطق — ذلك هو الأساس الذى بنى عليه (أرسطو) طريقته فى النقد ، كان الرجل دقيق الملاحظة للطبيعة والفن ، وإنه لمن هذين الينبوعين فقط نراه يستقى كل آرائه ، يبنى كل نظرياته ويستنتج كل استقراءاته

وليس (لأرسطو) آراء شخصية يفرضها على القارئ ؛ فهو إن مدح شيئاً فليس يمدحه لأن نفسه تتعشقه أو تميل إليه ، ولكن لأن التجارب قد أثبتت أن هذا الشيء صحيح جدير بالتقدير . خذ مثلاً حديثه عن الشعر القصصى إذ يقول :

(أما عن البحر الذى يكتب فيه هذا الشعر فهو (بحر الأبطال) ، فإن أراد شاعر أن ينظم قصيدة قصصية فى غير هذا البحر ، كان شعره شاذاً غير مألوف . إذ أن التجربة والطبيعة نفسها قد وقفت هذا النوع من الشعر على ذلك البحر)

(وأرسطو) لا يسمح لنفسه مطلقاً بأن تتمسك برأى من الآراء أو أن تمدح شيئاً أو تذم آخر دون سبب أو علة ، بل هو يقنع بأن يشرح القبيح دون ذمه ، وأن يظهر الجميل دون مدحه ، شأنه فى هذا شأن أصحاب المدرسة الواقعية فى القصص الحديث ، وهو فى هذا أيضاً يختلف عن أصحاب المدرسة النظرية فى النقد التى كتب عنها (أرنولد) يقول : (هى جماعة من النقاد ذات لون فلسفى باطل خداع ، تجيش بنفوسها بعض الآراء الخاطئة التى لم تبنها التجربة والفكر ، بل بنتها الأوهام والعواطف الذاتية تريد أن تفرضها على كل ما يقع فى يدها من شعر أو فن

والناقد من أتباع تلك المدرسة لا يمدح عملا إلا إذا صادف هوى فى نفسه وسد حاجة من حاجياتها ؛ فإن هو لم يفعل كان العمل باطلاً زائفاً ، وكذلك من مميزات هذا الصنف من النقاد أنهم يعنون بمحتويات العمل الفنى أكثر من عنايتهم بالفن نفسه — أعنى بالأسلوب والطريقة والجمال — كما أنك كثيراً ما تسمعهم يقولون : (حبذا لو ترك الشاعر هذا الموضوع وكتب فى موضوع كذا وكيت) ، وذلك كما لا يخفى أردأ أنواع النقد وأحطها قدراً ، إذ أن واجب الناقد الأول أن يفحص ويحكم على العمل الذى أمامه داخل دائرة العمل نفسه وحدوده لا خارجها ، محاولاً أن يتفهم ما يقصده الشاعر ويرمى إليه ، وإلى أى مدى استطاع أن يبلغ قصده وأن يبرز فكرته للقارئ

وقد يجدى أن نعطى هنا مثلا من أمثلة هذه المدرسة النظرية الخاطئة لنرى إلى أى حد يبعد (أرسطو) عنها ويرتفع

كتب (أوسكار وايلد) أحد نقاد هذه المدرسة — فى رأيى — يقول : (لأن تمضى من فن عصر من العصور إلى العصر نفسه هو أكبر خطأ يرتكبه المؤرخون جميعاً ، فالفن الردئ الزائف كله إنما يأتى من الرجوع إلى الحياة والطبيعة والتسامى بهما إلى مراتب المثل العليا !)

من هذه النبذة نستطيع أن نحكم بأن (أوسكار وايلد) كان يدين بهذا الرأى الذى يعطينا إياه — ولكننا لا نستطيع القول بأن شيئاً أو سبباً معيناً أدى به إلى هذا الاعتقاد — كما أننا لا نستطيع أيضاً أن نحكم ما إذا كان هذا الرأى خاطئاً أم صحيحاً ؟ وذلك لأن الناقد نفسه لم يخبرنا ولم يعلل ما يقوله : لم يكن (أرسطو) ليسمح لنفسه بأن ينقد بهذه الطريقة ، ولكن تعال معى نرى كيف كان (أرسطو) يعالج مثل هذا الرأى لو أنه كان يدين به مثلما كان يدين الناقد الانجليزى ، فإنه إذا ما قال إن الفن الزائف إنما يأتى من الرجوع إلى الطبيعة والحياة أتبع قوله بأن ذلك صحيح لأن (هوميروس) لم يذهب إلى الحياة فى البحث عن مادته (هذه أمثلة فقط ولا تعتبر صحيحة) ، وأن كل روعة فن (إيسكلس) إنما تأتى من اعتماده على أساطير الآلهة كمادة لفنه وأن فن (أريستوفانيس) كان أحط وأقل قيمة لأنه كان يصور الحياة ويستمد منها . ذلك أن (أرسطو) لا يسمح لنفسه بأن يكون نظرياً ، بل يجب أن يعطيك براهين وأمثلة وأسبابا تعليل ما يقول

خذ مثلاً آخر حديثه عن طول القصيدة القصصية إذ يقول: (يمكن في هذا الصنف من الشعر أن تعالج جميع أجزاء القصة معالجة مناسبة من حيث الزمن الذي يأخذه سير حوادثها في الحياة ، أما في القصة المسرحية فالأمر يختلف إذ أنك لو عالجت حوادث القصة في مثل ما تعالجها من الطول في القصيدة القصصية ، كان الأثر الذي تحدثه في النفس أثراً سيئاً يجلب الملل والسأم ؛ قد يبدو هــذا القول نظرياً ولكنه يتبعه بأن يقول : (إن صحة ما نقوله واضحة لأن كل من حاول أن يصوغ قصة سقوط (تروادة) صياغة مسرحية ، ولم يعن بأن يختصر في الحوادث أو يركزها قد فشل فشلاً تاماً)

كان (أرسطو) سريع الملاحظة ، حاضر الذهن ، يمقت النوع من القضايا الذي لا يبرره سبب أو يشرحــــه مثال ، كما أن المنطق كان دائماً رائده في البحث والنقد — ذلك لأن طبيعة عقله كانت طبيعة عملية واقعية مثل طبيعة أهله وقومه الأغريق . وهو إن سرد لك قضية من القضايا ، أو نظرية من النظريات سردها في بساطة وغير كلفة تشعرك بأنك كنت تعلمها من قبل ، وأن عكس هذه القضية لا يمكن أن يوجد أو أن يكون صحيحاً ، كما أن قضاياه تمتاز بأنها يمكن أن تستخلص منها قضايا أخرى صغيرة ، وأن تبنى عليها نظريات أكبر وأوسع أفقاً

في رأي أرسطو كناقد أن الشعر نوع من التقليد والمحاكاة — تقليد الحياة والطبيعة — وفي رأي (شلي) كناقد أيضاً أن « الشعر هو ما يحيل الأشياء كلها جمالاً — فهو يزيد الجميل جمالاً ويزين القبيح ويجمله » — كلنا يعرف أن قول (شلي) هذا صحيح ، وأن الشعر فعلاً يؤدي كل هذا ، ولكن هل نستطيع أن نسمى هذا القول تعريفاً للشعر ؟ هنا نشعر بالفارق بين الناقد الشعوري والناقد الفكري ، فكلاهما يعبّر عن أشياء صحيحة حقيقية ، ولكن الثاني يجعلك تلمس ما يقول وتبصره ، بينما يسحر الأول سمعك ثم يتركك ويمضي — وقد لا يكون تعريف أرسطو للشعر في جمال أو حلاوة تعريف (شلي) لكنه ملموس محسوس نستطيع أن نبصره في وضوح وأن نبني ونعتمد عليه

وهناك فارق آخر بين الناقدين يبدو لنا أيضاً من خلال تعريفهما للشعر ، فواضح من سطور شلي أن الناقد لا يعنى فقط بطبيعة ما ينقده وماهيته ، بل يعنى أيضاً بالغرض والرسالة التي عليه أن يؤديها الشعر — مما يجعل البحث بعيداً عن روح العلم — في حين أن (أرسطو) لا يتساءل مطلقاً عن رسالة الفن أو الشعر في الحياة ، بل كل ما يهمه أن يبحث طبيعتهما وأن يشرحهما لنا — شأن العالم الكيميائي أو الطبيعي —

وقد كان (لأرسطو) وجهة نظر في نقده خاصة به ، وأعني بها أنه كان يرى أن لكل فنّ من الفنون ، قصصاً كان أم شعراً غنائياً ، نهاية طبيعية لا بد أن يصل إليها وألا يتعداها ؛ فإن أراد صاحب الفن أن يتعدى بفنه نهايتــه كان مآله الفشل ومصيره السقوط الذي لا نجاة منه ، فقد يصل شــعر شاعر مثلا مرتبة النضوج والكمال ، وهو في سن الثلاثين ، غير أنه مهما عمّر الشاعر بعد ذلك من سنين ومهما زاده العمر من حكمة وتجارب ، فإن شــعره لن يزيد ولن ينضج أكثر مما نضج — وقد لا يرى البعض هذا الرأي غير أنه — في اعتقادي — رأي لا بأس به ، ساعد على تكوينه لدى (أرسطو) حب الاغريق الغريزي للاعتدال والوسط ، وخوفهم من بطش الآلهة وغيرتها إن اشتدّ الرجل منهم أو زها وعظم أكثر من اللازم . وقد كان التوسط والاعتدال رائد الاغريق في كل شيء ، ولم يكن التطرّف عندهم ذنباً فحسب بل جريمة كبرى ، ولذلك نرى الاعتدال أظهر ما يميز أدبهم وفنهم ، ولذلك أيضاً كان (أرسطو) مؤسس المدرسة الفكرية التي تمنح نفسها للمنطق والعقل وتحاذر كل الحذر من الشعور والعاطفة

والآن وأحسبني قد بسطت بعض البسط طريقة (أرسطو) في النقد وقارنتها بالطريقة الشعورية الأخرى أحب أن أقول كلمة عن المذهبين

إن كل ما يفعله (أرسطو) هو أن يشرح ويفصل ويرتب ويصنف ليعطينا في النهاية مجموعة من القوانين والقضايا ما أحسبها تخلق فناناً أو تصلح من شأن فنان آخر . وهو في هذا يخاطب الفكر لا العاطفة ، وإني كلما تصوّرته يعالج (شكسبير) يضيق بي الخيال ولا أدري كيف كان يتيسر (لأرسطو) أن يفعل هذا

قد كنا نفهم بعض صــفات فن شكسبير ومميزاته من نقد (أرسطو) له . على أني أشك كثيراً في أنه كان يجعلنا نتفهم الشاعر نفسه ونعشقه مثلما فعل (كولردج) و (هزلت) و (تين)

وفي رأيي أن أعلى أنواع النقد ما كان يؤثر في النفس ويوحي

٢ – الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين فى العصر الحاضر

« ان صوتى قد أوقد النار القديمة فى بلاد إيران
ولكن العرب لا يعرفون شيئا عن تهاتى الشجية »
(اقبال)

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

حينما نمعن النظر فى شعر اقبال واتصافه بميزات خاصة فى الأزمان المختلفة نجد أنه يتمتع الآن بدور ثالث . فقد قطع قبله دورين : أولهما دور نشأته ، حين كان اقبال لا يزال فتى يافعاً وطالباً بالمدرسة . فقد بدأ اقبال يقول الشعر باللغة الأردية وهو فى صباه ، فكان ينال به استحسان زملائه الطلبة ، ويجمعهم حوله اغتباطهم بحدة ذكائه وتفوقه عليهم فى الشعر . فكانت شهرة إقبال فى الشعر بادئ ذى بدء محصورة بين أترابه وأقرانه ، فلما انتقل من كلية سيالكوت إلى كلية الحكومة بلاهور بدأ يشترك فى مجالس الشعراء ويقول القصائد للاحتفالات السنوية لجمعية حماية الاسلام الشهيرة بلاهور ، فذاع صيته بين الخاص والعام

ينتهى هذا الدور لشعر اقبال إلى سنة ١٩٠٥ ، أى قبل سفره إلى أوربا ، ويمتاز شعره فيه بسعة الخيال ، وابتكار المعانى ، ولكنه مجرد عن دقة الفكر والتعمق بالنسبة إلى شعره فى أدوار أخرى ، ومعظمه باللغة الأردية ، تتجلى فيه روح الحب وطلب الجمال وترحيب العشق ، وأكبر ميزة لهذا الدور أنه دور أمل لشىء غير معلوم ، ففيه تتوق روح الشاعر إلى المجهول ، وتنزع إلى الغائب ، وتضطرب ، كما يظهر لك من ترجمة بيت من أبيات هذا الدور فيما يلى ، قال :

« أنا طالب النور ، أنا قلق فى معمورة هذا العالم
أنا مثل الطفل الصغير فى ظلام الوجود الحالك مضطرب كالزئبق »

وأما الدور الثانى فهو الزمن الذى قضاه الدكتور فى أوربا ، أى من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٨ . وهذا الدور من شعر الدكتور أقل انتاجاً من الدورين الآخرين ، ويمتاز من الأول بأن أثر مشاهدات أوربا بادٍ فيه ، ولكن روح الحب ، وطلب الجمال ، وترحيب العشق لا تزال متجلية فيه كما كانت فى الدور الأول . وقد حدثت فيه حادثة ، وهى أن الأبحاث العلمية سطت مرة بنفسية الشاعر ، فأراد أن يترك الشعر ويتوب عنه وينصرف إلى العلم ، فمنعه عن ذلك صديق قديم له كان حينئذ فى لندن ، وحاول اقناعه فلم يقتنع ، وأخيراً اتفقا على أن يستشيرا فيه أستاذه السر آرنلد . فأيد آرنلد رأى صديقه فعدل عن ارادته . وأكبر ميزة لهذا الدور أن بدأت أفكاره الشعرية تعلو وتتسع حتى ضاق عنها نطاق اللغة الأردية الحديثة السن فمال إلى الفارسية وبدأ يعبر بها عن الهامه الشعرى

وأما الدور الثالث فيبتدئ من بعد رجوع الدكتور من أوربا إلى الهند ، أى من سنة ١٩٠٨ إلى الآن ، وهو الأهم ، إذ فيه تدرج شعره فى معارج الكمال وتسنم سنام المجد وبلغ من دقة المعانى وعمق الفكر وحسن البيان غاية لم تبلغها الآمال ولا نالتها الأمانى . وفيه حلت السكينة والطمأنينة فى روح الشاعر محل التوقان والاضطراب ، كأنها أدركت ذلك الغائب المجهول الذى حنت اليه طويلاً ونزعت اليه سنين ، وفيه خف عن نفسية الشاعر سلطان المحبة والجمال ، وقام مقامه توقان الحكمة والكمال ، وفيه جادت قريحة الشاعر بما لم تجد فى الدورين السابقين ، إذ ظهرت إلى الآن سبعة دواوين ، ونحن ندعو الله أن يمد فى حياته ويوفقه أكثر من ذلك ، وفى هذا الدور أيضاً تمكن الشاعر من إبراز معالم فلسفته فى شعره للعالم ، وفيه تحققت رسالة شعره للعالم الاسلامى والشرق إذ كان فى نفسه تتساجل روحان : روح

إليها النقد الذى يشرح ويفصل دون أن يُزج فى دائرة الفن ودون أن يصبح علماً من العلوم . ذلك هو النقد الذى يعالج الأدب مثلما يعالج الأدب نفسه الحياة ، أعنى عن طريق الخيال والعاطفة

كتب (تشارلس لام) يقول :

(إنى أفضل العاطفة على العلم) وفى يقينى أن كل من له صلة بالأدب ولا يفعل مثلما يفعل (لام) يكون مخطئاً فى حق نفسه وفى حق صناعته أو فنه ؟

محمد رشاد رشدى
بكالوريوس بامتياز فى الأدب الانجليزى

المحب للجمال والمجبذ للعشق ، وروح السلم الشرق المتحمس الثائر . فكان فى الدورين الأولين الحظ الأوفر للأولى وفى هذا الدور للثانية

حينما نحاول البحث عن العناصر التى تكونت منها نفسية الشاعر وشعره نجد أنهما قد تكونا من عناصر جمة ، منها ما هو هبة من الله كالعبقرية والذكاء ، ومنها ما هو وراثى غير كسبى ، ومنها ما هو ثقافى كسبى ، ومنها ما يرجع الى البيئة سواء أكانت جغرافية أم اجتماعية . فهذه الأصناف الأربعة من العناصر هى دعائم نفسية الشاعر ووطائد شعره

أما العناصر الموهوبة مثل العبقرية وغيرها فلا يقدر الانسان على الكشف عن حقائقها ، ولا على الفحص عن دقائقها ، وما يقدر عليه هو وصف ظواهرها بالمقارنة . فاذا قارنا ظواهر عبقرية الدكتور وذكائه بالشعراء الآخرين نجد أنه فريد زمانه ، وقريع دهره ؛ قد أوتى عبقرية شاملة لا يدرك شأوها ولا يلحق غبارها ، وذكاءً متوقداً لا يجارى ، وقلباً عقولاً لا يبارى ، وحذقاً حاداً لا ترام مساماته وفكرا نافذاً لا يمكن مجاراته ، وبصيرة قوية لا يجرى فى مضمارها

أما العناصر الوراثية فالدكتور من نسل آرى . والآريون يمتازون بدقة الفكر وسمو الخيال عن الشعوب الانسانية الأخرى . ثم الدكتور ينتسب الى طبقة البراهمة منهم ، وهى طبقة قد سادت ولا تزال تسود بحدة ذكائها ورجاحة عقلها وحصافة رأيها جميع الطبقات الاجتماعية الأخرى فى الهند منذ آلاف من السنين ، فدقة الفكر وسمو الخيال بالقوة[1] عنصران وراثيان هامان فى نفسية الدكتور وشعره

وأما العناصر الثقافية الكسبية فهى التى يكسبها الانسان بواسطة التربية والتعليم . فقد بلغ فيهما الدكتور رتبة لا تسامى ومنزلة لا تنال ، إذ تعلم فى معاهد الشرق والغرب ونال منها أرقى الشهادات وأعلاها بالتفوق والامتياز وهضم الثقافتين — الشرقية والغربية — فى معناها الحقيقى . فهو على اطلاع تام بالفكر الشرقى — الهندى والايرانى — بجليه وخفيه وتاريخه وتقدمه ، كما هو عالم متبحر فى الفكر الغربى بجميع أدواره وتحولاته ، سواء كان عند اليونان أو الرومان ، أو الانجليز أو الألمان ، أو فرنسا أو أمريكا . وقد سبر الدكتور غور الفكر السامى العربى أيضاً وبخاصة الاسلامى منه كما تميط اللثام عن ذلك مصنفاته ، وقد أشار إليه هو أيضاً فى خطاب حيث قال :

« أنا قد صرفت معظم حياتى فى دراسة فقه الاسلام وسياسته وحضارته ومدنيته وأدبه ؛ فبناءً على دراستى الطويلة هذه وعلى العلاقة الخاصة التى لى بروح تعليم الاسلام أعتقد أننى على بصيرة أقدر بها أن أحكم على منزلة الاسلام فى العالم من حيث الحقيقة العامة »

والدكتور حائز فى جميع هذه العلوم والمعارف درجة الاجتهاد

وأما العناصر التى ترجع إلى البيئة فهى صنفان : الاجتماعية والجغرافية . أما الاجتماعية فقد ولد الدكتور فى مجتمع اسلامى وتربى فيه ودرس حاضره وماضيه ، فهو كأحد أركانه من محبيه الأوفياء ، وعشاقه الصادقين ، ومن أكبر الطامحين إلى خيره ومجده ، كما هو من كبار العارفين بحقيقته وصلاحيته . وهذا الحب ، والعشق ، والطموح ، والمعرفة كعناصر البيئة الاجتماعية متجلية فى نفسية الشاعر وشعره ، وليس هذا التجلى عن عاطفة وتعصب ، بل عن علم وعقل ، كما سيظهر لك من المقال الذى سنخصصه لذلك فى المستقبل إن شاء الله

وأما عناصر البيئة الجغرافية . فقد ولد الدكتور فى مقاطعة بنجاب وتربى فيها . وبنجاب أخصب المقاطعات الهندية فى سفح جبال هالايا تجرى من تحتها خمسة أنهار . فهى بهوائها المعتدل ومناظرها الجميلة التى تُفرح قلوب الشاهدين وتُؤنس أبصار المبصرين ، تملأ النفس بالمؤثرات القوية التى تربى الذوق وتُقوى ملكة الشعر ، وتُغذى الفكر . فحسن الذوق ، وحب الجمال ، والتصرف فى فنون الشعر ، وجولات الفكر المتجلية فى شعر الدكتور ونفسيته فيها أثر للبيئة الجغرافية

أما شعر إقبال من حيث الفن فسنتحدث عنه فى مقال تال

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

---

(١) يرى معظم علماء النفس والتربية أن الصفات الوراثية توجد فى الطفل بالقوة لا بالفعل أى على شكل استعدادات واتجاهات

فلســـفة الأسماء

بقلم ظافر الدجاني

إذا كانت اللغات من ألوان الحياة الفكرية الصريحة التي يتسم بها الانسان وتميزه من سائر الكائنات الحيـة ، فان الأسماء — أو ما يعبر عنه الصرفيون بأنه مادل على معنى في نفسه غير مقترن وضعاً بأحد الأزمنة الثلاثة المعروفة — من مظاهر بيئاته الاجتماعية والطبيعية . فلسنا نبالغ إذن إذا قلنا بأن لعنصر الأسماء في اللغات فلسفة خاصة مستقلة ، استطاع العلم الحديث مؤخراً أن يقتبسها ويستزيد منها بل يستقلها استغلالاً بالغاً يستحق عليه كل ثناء وإعجاب وإكبار . ومن الحق علينا القول بأن أقطاب اللغات في العالم لا يتفقون على أقدمية الأسماء وأسبقيتها في اللغة ، فنهم من يذهب إلى أنها أسبق مرتبة في الوضع والاستعمال من الحروف والأفعال ، لأن منزلتها في النفس من حيث القوة والاعتقاد أن تكون قبل الفعل ، والفعل قبل الحرف ؛ ومنهم من يذهب — وهؤلاء معظمهم من أصحاب التوقيف ودعاة الالهام — إلى أن جميع الأصول اللغوية إنما وقع الوضع فيها معاً فلا يجوز لك الاعتقاد بسبق الاسم على الفعل أو سبق الفعل على الحرف

ومهما يكن من شيء فان بعض الأسماء — أعني أسماء الأعلام والأجناس بوجه خاص — تمتاز على سائر الأصول اللغوية بأنها وضعت للدلالة على الأشياء المحيطة بالانسان في بيئتيه الطبيعية والاجتماعية ، وما عساه ينجم عنهما في حياته الفكرية ، بعكس الحروف والأفعال – مثلاً – التي إنما وضعت لتدخل بها « الأسماء في المعاني والأحوال »[1] ، أو بعبارة أخرى لتربط ما بين الأسماء في جمل معلومة مستقلة بدلالاتها اللفظية

ومعنى ذلك أنه يتعذر على الانسان مثلاً أن يستدل بالأفعال والحروف العربية على نوع الحياة الطبيعية والاجتماعية التي كان يحياها العرب قبل الاسلام ، إن لم يكن ذلك مستحيلاً عليه ، في حين أن استدلاله بالأسماء يكاد يكون في حكم الواجب الذي لا عدول عنـه ، لأنها تعكس لنا ألواناً من البيئات المتنوعة التي كان العربي عرضة لها آنئذ ، كأسماء الكائنات الحية وغير الحية التي كان على اتصال بها ، وأنواع الأسلحة التي كان يستعملها في حروبه وغاراته ، والموازين والأثقال التي كان يصطنعها في بيعه وشرائه ونحوه . كما أنها تعكس لنا أيضاً شيئاً من أثر البيئة الطبيعية في نفسه وإحساساته ، ففي ميسورك مثلاً أن تقرر باحصاء الأسماء التي تعبر في العربية عن ضروب المصائب والرزايا من ناحية ، والأسماء التي تعبر عن مظاهر اللهو والعبث من ناحيـة أخرى ، ثم الموازنة بينها ، ما إذا كانت بيئة العرب قبل البعثة بيئة قاسية مظلمة قاحلة أم بيئة مشرقة سمحة خصبة

وليس ذلك وحسب ، بل في ميسورك الاستدلال بالأسماء العربية « العاربة » منها و « المعرّبة » ، الأصيلة والدخيلة ، على مختلف التقلبات السياسية التي طرأت على الوسط الاسلامي في غضون تاريخه الطويل الحافل ؛ وبالتالي الاستدلال على مختلف الأدوار الاجتماعية التي تقلبت عليـه ، ومقدار نفوذ كل من العناصر الفلسفية والجنسية فيه ؛ فاذا كانت الأسماء الفارسـية مثلاً في الآداب والفنون أغزر من الأسماء اليونانية دل ذلك على أن نفوذ الفرس من هذه الناحية كان أبعد من نفوذ اليونان ، وإذا كانت الأسماء اليونانية في ميدان الفلسفة أوفر من الأسماء الفارسـية والهندية دل ذلك على أن العرب قد تأثروا بالفلسفة اليونانية أكثر من تأثرهم بفلسفة الفرس والهند . بيد أنه بالأسف ليس الوصول إلى هذا الاسـتدلال باليسير الهين لأن المعجم العربي ناقص من وجوه كثيرة ، أهمها الوجه التاريخي المدعم بالشواهد والأدلة مما لا يتسع المقام لذكره

هذا إلى عثورك خلال أزمنة التيقظ الفكري والنهضات الدينية الحافلة على بعض أسماء الأعلام القائمة بين الأوساط العامة لأنها غالباً هي أسماء بعض الزعماء أو القادة أو الأنبياء الذين لهم الفضل كل الفضل في بعث هذه النهضات وإحيائها ، بحيث يستدل منها على ما لهؤلاء المصلحين من حظوة لدى الجمهور ، وما لتلك النهضات من سحر في أفئدة العامة . ومن ثم كانت لبعض الملل أسماء خاصـة تعرف بها ولا يصطنعها غيرها كمزدا واسرائيل في

(١) الخصائص لابن جني ٤٣٢

اليهودية ، وحنا وبطرس في المسيحية ، ومحمد والحسين في الاسلام

بل ترى في بعض أزمنة الاضطهاد والغلو الديني أن لفظ المولى عز وجل يشترك عادة في أسماء الملوك والأمراء من أولى الحل والعقد في تلك الأعصر الرهيبة . يتضح ذلك من أسماء الخلفاء من ولد العباس في أواخر أيامهم حين أمست الخلافة رمزاً للنفوذ الديني مجرداً عن السلطة الزمنية ، وفي خلفاء الفاطميين وغير الفاطميين من السلالات الملكية التي قامت على الدعايات الدينية

ومن ناحية أخرى ترى أن بعض الأسماء قد تضيع في زوايا الاهمال والنسيان ، ولو إلى حين ، لأنها تكون عادة أسماء بعض الأفراد أو الجماعات المضطهدة ، بحيث يستدل من ذلك على مبلغ غلو الدولة القائمة وشدتها على الفرق المناوئة ، فمثلاً إذا علم القارىء أن العلويين والشيعة كانوا مضطهدين في الدولة الأموية ، فانه يستطيع أن يستدل على مقدار هذا الاضطهاد إذا ذكر أن الناس في أيامها كانوا كما يقول المستشرق « مارجليوث » يتحاشون تسمية الأبناء والأحفاد بأسماء علوية كعلي والحسن والحسين وأشباهها (١)

* * *

وبعد فقد أوردنا لك بعض فلسفة الأسماء موضحة بالأمثلة النظرية ، ولكننا لم نشرح لك كيف كان استغلال العلم الحديث لها ، لأن هذه الأمثلة على وفرتها قليلة النفع من ناحية عملية تطبيقية إن لم تكن عديمته ، لأن الحياة العربية الجاهلية من الأزمنة التاريخية التي تتوفر فيها النصوص والوثائق والآثار . ومن هنا قطعنا بأن الحاجة غير ماسة إلى استيضاح الأسماء العربية وتفصيل ما تنطوي عليه من ألوان هذه الحيلة المتنوعة

وإنما تتبين فلسفة الأسماء الخاصة وترجح قيمتها العملية المحسوسة في الأبحاث الدقيقة المنعقدة حول حياة الانسان الأولى ، التي لا تجد لدرسها من المصادر الأولية سوى اللغات وبعض الآثار الجيولوجية التي نراها تكتشف بين حين وحين ، وينفض الغبار عنها فتقيم المعوج من هذه الدراسات وتنير المبهم المستغلق

فمن ذلك أن أصل اللغات الأوروبية ظل إلى عهد قريب مجهولاً أو في حكم المجهول ، فنشأت حول ذلك نظريات عديدة متباينة ، لكل نظرية أنصار متحزبون وعلماء محققون ، ثم إن بعض الثقات حاولوا درس هذه اللغات بطريق القياس والمقابلة فخرجوا من هذا الدرس بنتائج باهرة لم يتسق للمنطق والتاريخ أن يتوصلا إليها . إذ وجدوا أن بين اللغات الأوروبية على اختلافها من ناحية واللغة السنسكريتية – أقدم اللغات الهندية الموجودة – من ناحية أخرى كثيراً من الشبه في القواعد والأوضاع اللغوية ، كما وجدوا أن فيها بعض الأسماء المشتركة كبعض أسماء الأعداد والأجناس ونحوها ، فاستخلصوا من ذلك أنه لا بد من أن تكون اللغات الأوروبية والهندية من فصيلة واحدة دعوها باللغات « الأندو أوروبية » Indo-Europeon

وإذ انتهوا من ذلك فانهم حاولوا أن يستدلوا بهذه الأسماء على موطن « الأندو أوروبين » الأصلي ووصف بيئتهم الطبيعية والاجتماعية ، وما إذا كانوا يعرفون البحر والأحراج والأنهار ، وأي أنواع الحيوانات كانوا على اتصال وثيق بها ، وهل عرفوا الحديد والبرونز قبل شتاتهم وانقسامهم قبائل وشعوباً ، ثم هل كانوا على درجة كبيرة من التمدن والحضارة ؟ أم كانوا بعد في طور الفطرة الانسانية العريقة في البداوة ، ولهم في ذلك أبحاث مطولة دقيقة تنطوي على كثير من قوة التحقيق والتحليل ورجاحة الفكر والنظر

وقس عليه محاولات المستشرقين في الاستدلال ببعض الأسماء المشتركة بين الأقوام السامية على موطن الساميين الأول ونوعه ، وحضارة الساميين ومقدارها ، بل قس عليه أبحاث المحققين في مختلف نواحي الحياة الانسانية قبل الأعصر التاريخية حيث تنعدم الآثار والمنقولات ، فلا تكاد تجد من مصادر درسها إلا اللغات التي نشأت مع الانسان وسايرته في تطوره واستوائه

فالعجب من العلم الحديث ونشاطه ومؤهلاته البالغة التي لم تترك كبيرة ولا صغيرة من صامت الكون أو ناطقه دون أن تحاول استقراءها ونبش دقائقها عسى أن يكون فيها ما ينير سبل القوم في تفهم أسرار الكون ومظاهر الحياة الانسانية

يافا ظافر الدجاني

(١) في كتابه « محاضرات على مؤرخي العرب » ص ٨٦

شكوى الشيخ إلى ابنه

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

أبوك بأن يردى بُنىّ مهددُ   كأن الردى سيف عليه مجرد

ويشكو تباريحاً تكاد تهده   وشيخوخةً ليست عن الموت تبعد

أحس بقرٍّ في عروق وأعظمى   يكاد دمى منه بجسمىَ يجمد

أقادُ إذا رمتُ المضىّ لحاجة   وأمشى كما يمشى الأسير المقيد

كأنك بى شلواً على النعش سائراً   وعما قليل فى التراب يُوسَّد

وليس مُخيفى الموتُ إن هو زارنى   ولكن وراء الموتِ شملٌ مُبدَّد

تعالَ فقبلنى بُنىّ مودعا   فإنّ فراقى عنك يا ابنى مُؤَبّد

ولى من حياتى يا بُنىّ بقيةٌ   ولكنها عما قليلٍ ستَنْفَدُ

بُنىّ أقم حيناً بجنبى فإننى   على غير ما قد كنتَ من قبلُ تعهد

أبوك من الآمال جرّد نفسَهُ   وأنتَ فتًى فيه المنى تتجدد

ولم يك حظّانا من الدّهرِ واحداً   فلى الأمسُ من أيامه ولك الغد

أنا اليوم أشقى بالمشيب ووهنه   وأنت بشرخٍ من شبابك تَسْعَد

لعمرك لا عهد المشيب الذى به   برمتُ ولا عهد الشبيبة سرمد

وما نحن إلا كالسيوف بحومةٍ   نُجرّدُ حيناً للوغى ثم نُغمد

* * *

ستحدثُ فوق الأرض أشياء جمةٌ   وأنت لها بعدى بُنىّ ستشهد

خُلقتَ لعهدٍ غير عهدى فلا تكن   جباناً إذا ما ضِيمَ لا يتمرد

وما الشيب شعرٌ أبيض فوق مفرق   ولكنه نار على الرأس توقد

وليست حياةٌ بالإياس شقيةٌ   كأخرى بإدراك الأمانىّ ترغد

تفتّح وردُ السؤالِ إلا بروضتى   وماقيمة الروض التى لا يورّد ؟

أغرّد فى روض الحياة كبلبلٍ   ومن بعد حين موشك لا أغرّد

سأرحل عن دنيا إلىّ حبيبةٍ   بها هام حتى الزاهدُ المتعبّد

تحاول نفسى بالحياة تمسكا   ولكنما خيط الحياة مُعقَّد

بُنىّ وإنى ذاهب غير آيبٍ   إلى حيث يَبْلَى الجسم منى ويفسد

وما أنا وحدى هالك فيثور بى   على الموت حب للحياة مُوطَّد

فقبلىَ أجيالٌ ألمّ بها الردى   وبعدىَ أجيال ستردى كما رَدُوا

نجىء ونمضى زمرة بعد زمرة   ونَنْبُتُ مثل العشب والموت يحصد

مُقيدةٌ منا الجسومُ بأرضها   ولكنما الأرواح لا تتقيد

ستذهب ذرّاتٌ لجسمىَ ألّفت   بَدادِ وعلّ الروح لا يتبدد

وقد تسبح الأرواح فى ضوء أنجم   فيجمعها جنحٌ من الليل أسود

وما هذه الدنيا بدار سعادة   وإن طاب فيها الأثرياء وأرغدوا

ففى كل يوم للتعاسة لوحة   وفى كل يوم للشقاوة مشهد

وإن فؤاداً لا يرقّ لزفرة   يصعّدها قلب كسير لجلمد

ومن كان فى بيداء يشكو لُهاثه   فليس له غير المنية مورد

سئمتُ مِراس الحرب فالسلم بغيتى   ولكنّ باب السلم دونىَ موصد

* * *

بُنىّ لقد كانت حياتى شقية   وعلّك من بعدى بُنىّ ستسعد

قضيت حياتى كلها فى تمرّدٍ   ومن ذا يرى خسفاً ولا يتمرّد

لقد وُلدَ الانسانُ حراً بطبعه   ولكنه للنفس منه مقيَّد

أناخ عليها بالخرافات مثقلاً   وقيدها بالوهم والوهم مفسد

يلوذ بمن أثرى ويعنو لمن طغى   فيصبح عبداً صاغراً وهو سيد

تداولت الدنيا شعوبٌ كثيرة   وقد حيّدوا تلك القيودَ وأيدوا

أمَن كان حمّاداً لها فهو مؤمن   ومن كان نقاداً لها فهو ملحد ؟

وإنك منى يا بُنىّ بقيّة   أعيش بها فى الموت أو أتجدد

بُنىّ أرى مستقبلى فيك ماثلا   وفيك أقول الشعر غضّاً وأنشد

إذا متُّ فاذكرنى بُنىّ مكرراً   فبالذكر أحيا ثم بالذكر أخلد

(بغداد)

جميل صدقي الزهاوي

المســـاء

للدكتور ابراهيم ناجي

يا غلَّة المتلهف الصـادي | يا آيتي وقصيدتي الكبرى
زادي لقاؤك: طاب من زادِ | وإذا نأيت أعيش بالذكرى

يلقى خيالك كيفما باتا | صبٌّ له لفتات مسحورِ
يروى ويشبع منك هيهاتا | لا يرتوي بصر من النور

بعد الأوار يدب في الغرس | لا يرتوي عودٌ من الطلِّ
ومن احتسى من لفحة الشمس | لا يرتوي أبداً من الظلِّ

ذُقْتُ المنايا عدَّ أنفاسي | والبعث كان شبابك الزاهي
ومن ارتوى من سخط الناس | لم يرْوه غير رضا الله!

يا للمسـاء العبقريّ وما | منحت من النفحات عيناكِ
أو كان رؤيا واهم حلما | ما كان أقدسه وأسناكِ

يا للنسائم من مسبِّحة | خشعت بهيكل ذلك الوادي
خفيفها همسات أجنحة | ورفيفها صلوات عبّاد

نمشي وقد طال الطريق بنا | ونود لو نمشي إلى الأبدِ
ونود لو خلت الحياة لنا | كطريقنا وغدت بلا أحدِ

نَبني على أنقاض ماضينا | قصراً من الأوهام عملاقا
ونظلّ ننشد من أمانينا | وشياً من الأحلام برّاقا

وأظلُّ أسقيها وتملأ لي | من منبع فوق الظنون خفي
حتى إذا سكرت من الأمل | وترنحت مالت على كتفي

حلفت بأني أغتدي معها | حيث اغتدت وهواي في دمها
فمسحت بالقبلات أدمعها | وطبعت أقسامي على فمها

إنا لقومٌ أنكروا الجسدا | فاعجب لمفترقين ما افترقا
أو ما ترى روحيهما اتحدا | أو ما ترى ظليهما اعتنقا

ابراهيم ناجي

حياة الأحلام

بقلم الياس قنصل

لستُ أرثي لمن يكونُ طموحاً | ذا أمانيَّ شبيهةٍ بالمحالِ
إنْ يفُتْه تحقيقها لدواعٍ | تصرف العزم عن طلاب المعالي
لم يفته تمثيل تحقيقها في | عالم الفكر تحت جوّ الخيالِ
يقطع العمرَ بين رؤيا وحلمٍ | ليس فيها وفيه غير الظلالِ
خالقاً من أوهامه ما تمنّى | جاعلاً منها مسرحاً للكمالِ
لستُ أرثي لحالمٍ ليس يدري | رغم طول البقاء معنى الليالي
إنما أرثي للذي يبتغي «الملمو | س» في دنيا أُبدعتْ للزوالِ
كل شيء - مهما غلا - إن ينلْه الـ | ـمرء أمسى في عرفه غير غالِ
أين من عاش نائلاً كلَّ ما | يطلبه ممن عاش بالآمال!

عاصمة الأرجنتين — الياس قنصل

١١ - شاعرنا العالمي

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

منزلته في الشعر : قد يكفي أبا العتاهية عندنا توجيهه الشعر هذه الوجهة الصالحة ، وذهابه به في جد الحياة نحو تربية الشعوب وهدايتها ، وإنارة السبيل أمامها ، وتقويم عوجها ؛ وهذا أبو نواس وهو من أعلام الشعر في عصره يشهد له بهذا الفضل ، ويفضله به على نفسه . حدث هرون بن سعدان قال : كنت جالساً مع أبي نواس في بعض طرق بغداد ، وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل ، بين بني هاشم وفتيانهم ، والقواد وأبنائهم ، ووجوه أهل بغداد ، فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم ، ولا يقبض رجله إليه ، إذ أقبل شيخ راكباً على حمار مريسي ، وعليه ثوبان ديبقيان ، قميص ورداء قد تقنع ورده على أذنيه ، فوثب اليه أبو نواس ، وأمسك الشيخ عليه حماره واعتنقا ، وجعل أبو نواس يحادثه وهو قائم على رجليه ، فمكثا بذلك ملياً ، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى ، مستريحاً من الاعياء ، ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس ، فجلس في مكانه ، فقال له بعض من بالحضرة : من هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الاعظام ، وتجله هذا الاجلال ؟ فقال : هذا اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية . فقال له السائل : لم أجللته هذا الاجلال ؟ وساعة منك عند الناس أكثر منه . قال : ويحك لا تفعل ، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي

وقد يكفي أبا العتاهية أيضاً أنه هو الشاعر الشعبي الذي أمكنه أن يدنو بالشعر العربي إلى أفهام العامة ، فوردوا مناهله العذبة بعد أن حرموا منها زمناً طويلاً بنزول لغتهم عن لغته ، وانصراف الشعراء عنهم كأنهم عجماوات لاحظ لها من علم أو أدب ، وهذا كله مع احتفاظه الشعر عما يتطلبه منه الخاصة أيضاً ، فأرضى بشعره الفريقين ، ولم ينزل به عن مرتبة فحول الشعر في عصره وقبل عصره ، وقد قلنا إنه كان يقصد إلى ذلك قصدا ، ويثور به على الطريقة القديمة عامدا ، وسقنا من قصته في ذلك مع سلم الخاسر ما يؤيده ، وهذه هي قصته معه كاملة :

قال أبو الفرج : حدثني علي بن مهدي ، قال : حدثني أحمد ابن عيسى . قال حدثني الجماز . قال : قال سلم الخاسر : صار إلى أبو العتاهية ، فقال : جئتك زائراً ، فقلت : مقبول منك ومشكور أنت عليه فأقم ، فقال إن هذا مما يشتد علي ، قلت : ولم يشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب ؟ فقال لمعرفتي بضيق صدرك ، فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرته : « رمتني بدائها وانسلت » ، فقال : دعني من هذا واسمع مني أبياتاً ، فقلت : هات ، فأنشدني :

يا للقوي للموت ما أوحاه ... نغَّص الموتُ كلَّ لذة عيش
عجباً إنه إذا مات ميْتٌ ... صدَّ عنه حبيبُه وجفاه
حيثما وجَّه امرؤٌ ليفوت الـ ... موتَ فالموتُ واقف بحذاه
إنما الشيب لابن آدم ناعٍ ... قام في عارضيه ثم نعاه
من تمنَّى المُنى فأغرق فيها ... مات من قبل أن ينال مُناه
ما أذلَّ المُقِلَّ في أعين النا ... س لا قلاله وما أقمأه
إنما تنظر العيون من النا ... س إلى من ترجوه أو تخشاه

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية . فقال : والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها

وقد ذكر ابن رشيق القيرواني أبا العتاهية فيمن كان يذهب إلى سهولة اللفظ ، ويعنى بها مع الاجادة وملاحة القصد ، وأنه اجتمع يوماً مع أبي نواس والحسين بن الضحاك الخليع ، فقال أبو نواس : لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء ، فأنشد أبو العتاهية :

يا إخوتي إن الهوى قاتلي ... فسيِّروا الأكفانَ من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى ... فإنني في شُغُلٍ شاغل
عيني على عُتْبَةَ منهلَّةٌ ... بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفِّيَ نحوكم سائلا ... ماذا تردُّون على السائل
إن لم تُنيلُوه فقولوا له ... قولاً جميلا بَدَلَ النائل
أو كُنتُمُ العام على عُسرةٍ ... منه فمنُّوه إلى قابل

فسلما له وامتنعا من الانشاد بعده ؛ وقالا له : أما مع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه الاشارات ، فلا ننشد شيئاً . قال ابن رشيق : وذلك فى بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضله غيره

ولم يكن أبو العتاهية فى ذلك يتكلف شيئاً لا تواتيه فيه سجيته ، بل كان يجرى فيه على سجية مواتية ، وشعر مطبوع لا تكلف فيه ولا تصنع ، وقد بلغ من سهولة الشعر عليه أنه كان يقول : لو شئت أن أجعل كلامى كله شعراً لفعلت ، وقيل له : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لى ، فأقول ما أريد ، وأترك ما لا أريد . وحدث عبدالله بن الحسن قال : جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان ؛ فجلس إلىّ ، فقلت : يا أبا اسحاق ، أما يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر ، أو الى ألفاظ مستكرهة ؟ قال : لا ، فقلت له : إنى لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافى السهلة ، قال : فاعرض على ما شئت من القوافى الصعبة ، فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ ، فقال من ساعته :

أىُّ عيش يكون أبلغ من عيـ ... ـش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحبُ البغى ليس يسلم منه ... وعلى نفسه بَغَى كلُّ باغى
رُبَّ ذى نعمة تعرَّضَ منها ... حائلٌ بينه وبين المساغ
أبلغَ الدهرُ فى مواعظه بل ... زاد فيهنَّ لى على الابلاغ
غبنتنى الأيامُ عقلى ومالى ... وشبابى وصحتى وفراغى

وكان أبو العتاهية مع هذا إذا أراد تفخيم لفظه ومعناه لم يقصر به ذلك عن غيره ، ومضى فيه كأنه من أولئك الشعراء الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين ، وقد قال مسعود بن بشر المازنى : لقيت ابن مناذر بمكة ، فقلت له : من أشعر أهل الاسلام ؟ فقال : أترى من إذا شئت هزل ، وإذا شئت جد ؟ قلت : من ؟ قال : مثل جرير حين يقول فى النسيب :

إن الذين غَدَوْا بلبك غادروا ... وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيضْنَ من عبراتهن وقلن لى ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد :

إن الذى حرمَ المكارمَ تغلباً ... جعل النبوةَ والخلافة فينا
مضرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم ... يا آل تغلبَ من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئتُ ساقكمُ الى قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه ، فقلت : من ؟ قال : أبو العتاهية ، قلت : فبماذا ؟ قال قوله :

اللهُ بينى وبين مولاتى ... أبدتْ لى الصدَّ والملالاتِ
لا تغفر الذنبَ إن أسأتُ ولا ... تقبل عذرى ولا مواتاتى
منحتُها مهجتى وخالصتى ... فكان هجرانها مكافاتى
أقلقنى حبُّها وصيَّرنى ... أحدوثة فى جميع جاراتى

ثم قال حين جد :

ومهمه قد قطعتُ طامسه ... قفر على الهول والمحاماة
بحُرّة جسرة عذافرة ... خوصاءَ عيرانة علنداة
تبادرُ الشمس كلما طلعتْ ... بالسير تبغى بذاك مرضاتى
يا ناق خُبّى بنا ولا تعدى ... نفسك مما ترين راحات
حتى تُناخى بنا الى ملك ... توَّجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه ... تاج جلال وتاج إخبات
يقول للريح كلما عصفت ... هل لك يا ريح فى مباراتى
مَن مثل من عمُّه الرسول ومن ... أخواله أكرم الخؤولات

وإذا كنت فيما سبق قد جعلت أبا العتاهية زعيم شعراء عصره ؛ فهذا ابن مناذر يقضى له أيضاً بهذا السبق ، وهذا بشار قد سئل من أشعر أهل زمانه ؟ فقال : مخنث أهل بغداد ، يعنى أبا العتاهية ، وكذلك كان يرى فيه هذا الرأى كثيرون مثل الفراء وجعفر بن يحيى وأبى نواس ، وقد وازن الخرمازى بينه وبين أبى نواس ، فقال : شهدت أبا العتاهية وأبا نواس فى مجلس ؛ فكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرعهما فى قول الشعر ، فاذا تعاطيا جميعاً السرعة فضله أبو العتاهية وإذا توقفا وتمهلا فضله أبو نواس ، وقد يرجع هذا عندى الى ما كان لأبى نواس من دراسة واسعة فى اللغة وغيرها من العلوم ، فلا يخفى أن مثل هذه الدراسة لم يتح مثلها لأبى العتاهية

ولكنه يبقى بعد هذا ما قد يفيده ظاهر بعض ما رواه صاحب الأغانى من أن أبا العتاهية لم يكن يرى فى شعره هذا الرأى ، قال : نسخت من كتاب هرون بن على ، قال حدثنى على بن مهدى ، قال : حدثنى ابن أبى الأبيض ، قال : أتيت أبا العتاهية فقلت له : إنى رجل أقول الشعر فى الزهد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهب

أستحسنه لأني أرجو ألا آثم فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه ، فأحب أن تنشدني من جيد ما قلت ، فقال : اعلم أن ما قلته رديء ، قلت : وكيف ؟ قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار وابن هرمة ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به ، الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة ، وأعجب الأشياء اليهم ما فهموه ، فقلت : صدقت ، ثم أنشدني قصيدته :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
ألا يا موت لم أر منك بدًا أبيت وما تحيف وما تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي

قال : فصرت الى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا ، فقال : والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر ، فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس ، فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

طول التعاشر بين الناس مملول ما لابن آدم إن فتشت معقول
يا راعي الشاء لا تغفل رعايتها فأنت عن كل ما استرعيت مسئول
إني لفي منزل ما زلت أعمره على يقين بأني عنه منقول
وليس من موضع يأتيه ذو نفس إلا وللموت سيف فيه مسلول
لم يشغل الموت عنا مذ أعد لنا وكلنا عنه باللذات مشغول
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب والحي ما عاش مغشي وموصول
كل ما بدا لك فالآكال فانية وكل ذي أكل لا بد مأكول

قال : ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه ، فصرت الى أبي نواس فأخبرته فتغير لونه ، وقال : لم أخبرته بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يقل فيه سوءا

والذي أراه في ذلك أن أبا العتاهية كان يريد بهذا صرف هذا الرجل عنه ، لأنه كان معتزا بشعره معتدا به ، وقد قارع به بشاراً وغيره لدى الملوك والأمراء ففاز به قصب السبق ، ونال من صلاتهم وجوائزهم ما لم ينله غيره ، ولو كان يراه دون غيره من الشعر لقعد به في بيته ، ولم يقو أن يقارع أحداً به ؟

عبد المتعال الصعيدي

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٢٠ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوي

— ١ —

كل جيل أو كل حضارة مرتبطة بسلسلة من القيم الاجتماعية تؤمن بأن هنالك شيئاً أسمى من شيء ، وأن عملاً أفضل من عمل ، وترى أن الحقيقة أسمى من الضلال ، وأن عاطفة الرأفة أفضل من عاطفة القسوة ، وواجب التاريخ البشري هو تبيين هذه المقامات والفصل بينها ، لأن هذه المقامات المنطوية على التقاليد الاجتماعية هي التي تسيطر على حياة الأفراد والجماعات ، وتؤثر في كل أحكامنا ومناقشاتنا . وجدير بها والحالة هذه أن تشغل عقل الفيلسوف وأن تستبد بأكثر عقله وفراغه

نظر نيتشه إلى هذه المقامات وتأملها ملياً ، فجاءت نتيجة تأمله أن هذه المقامات التي تتعاقب عليها الحياة الأوروبية اليوم هي مقامات فاسدة يجب تنكيسها لأنها لاتصلح للبقاء ، وبهذا يتبدل مجرى حياتنا ، وتبيد هذه العكازات التي تتوكأ عليها أحكامنا وأفكارنا . وقد نرى نيتشه — في أحد نوبات ألمه العنيف قبل ضياع عقله — ينذر بخراب مروع لهذه البشرية : « إنني أحلف لكم بأن الأرض ستتلوى متشنجة خلال عامين اثنين . . . إنني بنفسي قضاء وقدر »

إن الانسان الحالي يضع في قاعة « القيم الاجتماعية » عدداً من القيم المطلقة العالية التي لا يمسها سوء ولا يشرف عليها عقل ، ولا يتطاول إليها نقاش ، وبواسطة هذه القيم يسعى الى تبيين الحقيقة . من هذه القيم المعروفة مثلاً عنصرا الخير والحقيقة . وقديماً وحديثاً نرى أن تمجيد الحقيقة والصدق هو رأس عقائدنا وإيماننا . ناهيك أن المفكرين أنفسهم وقفوا متهيبين إزاء مسألة الخير والشر حين عرضت لهم ، وقد ظلوا مترددين أمامها ، راعين للتقاليد التي توارثوها عنها . « فكانت » قد افترض وجودها ،

وشوبنهاور وجد أن العقدة الأخلاقية إنما هي عقدة عامة ، جميع الناس فيها سواء . « فلا تسيء لأخيك ، وأغث إخوانك ما استطعت » . وهكذا تطامن الفلاسفة على هذه العقدة ولم يهزوا شجرتها . وكلهم تجمهروا ليدرسوا رأس الأخلاق وهذا الضمير الخلقي الذي اصطلح البشر عامتهم على احترامه والذي لا يزال يسيطر على الأجيال الحالية

أعلن نيتشه الحرب على هذا التعبد للحقيقة وهذه العبادة لشريعة الأخلاق . وبدلاً من أن يتقبلها قبولاً لا مفر منه ولا وجه لمقابلته بجدل . رأيناه يقابلها كمسألة يدرس وجوهها ويحل مبهمها ويفترض ما يفترض في سبيل تفهمها . أليس من حقه أن يتساءل « ولماذا كانت الحقيقة خيراً وأحرى ؟ : ولماذا كان الخير أجدر من الشر بالأخذ ؟ » ثم حل هذه المسألة بذات الجرأة التي ظهر بها جاعلا قاعدة الانسان الحر هذه الكلمة المأثورة « لا شيء حقيق في الوجود ، كل شيء حل للانسان »

وما هذه الكلمات النظرية التي تتردد بحروف مختلفة وأسماء متباينة دون أن يخرج معناها بخروج مبناها إلا كلمات ابتدعها الخيال وثبتها الوهم . أما الحقيقة الجديرة بالنظر ، الحقيقة التي ينبغي لنا أن نعرفها فهي حقيقة عالم رغائبنا وأهوائنا . فكل ما تحتوي عليه حياتنا وإرادتنا وفكرتنا هو في الحقيقة نتاج ما فينا من الغرائز الحاكمة . وهذه الغرائز المتفرقة إنما تتشعب بها السبل إلى غريزة واحدة ، لا ترد إلا اليها ولا تصدر إلا عنها . هذه الغريزة هي إرادة القوة ، هذه الارادة التي تغنينا — لو رجعنا اليها في تحليل جميع مظاهر الحياة التي تحيط بنا ونحيط بها . فكل كائن — سواء كان من عالم الحيوان أو النبات أو الانسان — يسعى إلى بسط سلطانه على غيره من الكائنات حتى يخضع له ما يخضع منها . وإن هذه الحرب القائمة وهذه الجهود الدائمة ، حيث لا تستقر حياة موجود إلا يبسط نفوذها ونشر قواها ، هي الشريعة الأساسية في الوجود ، وفي كل مظاهر الحياة — أنى كانت — ترى الغريزة قائدها وهاديها : فاذا رأيت إنساناً ما يجنح بطبعه إلى حب الفضيلة والفن والحقيقة فهذا الجنوح إنما قام بفضل هذه الغريزة الطبيعية التي رأت من خيرها أن تسلك هذا السبيل ، وهكذا قل في الفضيلة الدينية التي تجد بها بعض النفوس أقواتها وطعام غرائزها . وفي الحقيقة التي يضحي العالم في سبيلها بأزهى عمره تسوقه إليها إرادة القوة التي تعمل على بسط سلطانها ، ولكن الانسان مال إلى عبادة ما ابتدعه بنفسه « كمثل أعلى » ليشبع حاجة فيه من حاجاته . فبدلاً من أن يقول : سأحيا أنا لاشباع غرائزي ، وسأتحرى عن الخير والحقيقة تبعاً لهذه الشريعة حيث تدفعني إرادة قوتي : قال : إنما الخير والحقيقة شيئان ينبغي أن يطلبا لنفسهما . . . يجب صنع الخير لأنه الخير . ويجب نشدان الحقيقة حباً للحقيقة . وحياة الانسان ليس لها قيمة إلا بقدر ما تنكر من أنانيتها وذاتيتها في سبيل خدمة هذا المثل الأعلى ؛ فلتُقتل إذن كل ميولها الغريزية في سبيل هذا المثل ، معتقدة أن الأنانية هي شر كبير ورذيلة خطرة . على أن هذا الانسان نفسه الذي قدر هذا التقدير إنما تسوقه غريزة — لأن الغريزة هي سائقة النفوس الى ما تعمل — ولكن هذه الغريزة غريزة فاسدة

على أن هذه الغرائز ليست في الناس سواء ، فبعضها معتدلة تعمل على تغذية حياتها وصيانة نموها ، وبعضها فاسدة معتلة تعمل على إخفاء مادتها الحيوية . وللعلل الجسدية تأثير كبير فيها قد يتداركها الطبيب قبل أن تُعدي الجسد . وهنالك علل « الشخصية » ولهذه العلل أسباب طبيعية . وبحسب هذه الغرائز المختلفة المتسيطرة على الانسان يأتي صاحبها صالحاً أو طالحاً ، مثلاً عالياً أو مثلاً سافلاً

إن — هنالك — رجالاً خالصي الأجسام والأرواح يقولون « نعم » للوجود ! هم سعداء ناعمون بحياتهم ، وهم ممن يجدر بالحياة أن تخلد لهم . وهنالك رجال منحطون ضعفاء مرضى قد أظلمت غريزتهم وماتت حيويتهم ، يقولون « لا » للوجود ! يجنحون إلى الموت والفناء ، لاغاية لهم يتحرون عنها ، وليس لهم — والحالة هذه — أن يتحروا عن بقائهم في الوجود ، وهذه سنة طبيعية تنطبق على الحياة التي لا تتمرد ، والحياة — في كل صقع — سائرة في طريق التقدم أو في طريق الانحطاط . والانسان فيها مثل غرسة ، طوراً تحيا ذابلة يائسة ، وطوراً تتفتح مشرقة زاهية ، تسمو منها فروع عالية

يتبع خليل هنداوي

القصص

صور من هوميروس

٥ - حروب طروادة
أخيل
للأستاذ دريني خشبة

شُده القوم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ونهض الكاهن الوقور ذو اللحية المرتعشة يضرب فى غبشة الصبح ، متكئاً على عكازه الذى أحنته وأحنت صاحبه السنون ، ولم يكد يتسنم ذروة الجبل حتى أشرقت ذُكاء ، فاختلط ذهب أشعتها بفضة لحيته ، فزادته رهبةً ، وزاده البعد وقاراً ، وملأ بهامته السامقة وطيلسانه القشيب ، قلوب العسكر ، وعيون القادة ، ألغازاً وأسراراً ...

. . . .

عاشت ذيتيس فى كنف بليوز قانعةً راضيةً ، لا يعنيها من هذا العالم الرحب إلا الجنين الحبيب الذى يتقلب فى أحشائها ، فتتقلب معه أكبر الآمال

ومضت شهور . . . ووضعته غلاماً بكاءً كثير الصخب ، يضرب الهواء برجليه الصغيرتين ، فكأنما يضرب الشرقين والمغربين ، وينظر فى السماء العميقة بعينيه الزرقاوين ، وكأنما يبحث فى أغوارها عن جده .. وجده ! وترى إليه أمه وتبتسم !

وشبّ الغلام وأيفع ؛ وتحدثت إلى أمه العرافات والكاشفاتُ الغيبَ أن سيكون محارباً عظيماً ، تتحدث بذكره الركبان ، وتتعطر باسمه المحافل فى كل زمان ومكان ؛ وأن لابد من رحلةٍ به إلى النار الآخرة — هيدز مملكة بلوتو — حيث تستطيع الأم غسلَ ابنها فى أمواه ستيكس ، نهر الخلود الزاخر ، الذى أودعته الآلهة أسرارها ، وتغنت فيه شعراء الأولمب أشعارها واشتهرت بركاته فى العالمين

حدثتها أنها إذا غسلت ابنها فى أمواه ستيكس ، فإنها تكسب جسمه مناعةً ضد الموت ، ويحفظاً من الفناء ؛ لأن جلده يُصبح كالدرع المسرودة من حديد ، لا تنفذ فيه السهام ، ولا يؤثر فيه طعن القنا ، ولا ضرب المشرفيات البيض

ووقفت به على شواطئ ستيكس !

وما لها أن تنظر فترى إلى المنايا تقفز على غوارب الموج ، وتثب فوق نواصي التبيج ؛ تدمدم كأنها القتاب ، وتهوم كأنها البواشق ، وترقص ظلالاً سوداء كأنها الجن !

لقد ريعت الأم المسكينة ، وكادت تنثني بطفلها المعبود ، إشفاقاً عليه من هول ما شاهدت ... بيد أن الطفل ... بيد أن أخيل الصغير ، كان يصرخ وينتحب كلما بعدت به أمه عن شواطئ النهر ، فى حين كان يهدأ ويبتسم كلما اقتربت به منها . فتعجبت ذيتيس ، وجلست ترقب من النهر فرصة هادئة فتغمر ابنها فى مائه لحظةً وتمضى لشأنها ...

وكأن الآلهة قد استجابت لتوسلاتها . . . . فقد نامت الأمواج ، واستقر سطح الماء ، وقالت شياطين النهر المصطخب ؛ فتقدمت الأم المضطربةِ ، حاملةً ولدها من إحدى رجليه ، وذكرت أربابها ، مبتهلةً إليهم ، وغمست أخيل فى الماء الهادئ فى أقل من لمح البصر ، وعادت أدراجها فرحةً متهللة ...

جزء واحد من جسم أخيل لم يغمره الماء !!

ذلك هو عقب قدمه اليسرى ! فيا للهول !

لقد أسلمت ذيتيس ولدها الحبيب للسنتور العظيم شيرون ، مؤدب هرقل ومدربه ، يلقنه الفنون الحربية ، وينشئه على أعمال الفروسية ، ويبث فيه من ذلك الروح الكبير ، الذى بثه فى سائر تلاميذه من قبل ، فكانوا فرسان كل حلبة ، وصناديد كل ميدان ، ولقد نبغ أخيل فى استعمال السيف ، واللعب بالرمح

وتوتير القسي ، وثقف بحيل المصارعة واللاكمة . . . وقصارى القول ، أصبح فتى زمانه ، والعلم اللائق فى قلوب أنداده وأقرانه ... إن كان له أنداد وأقران

وعاد إلى أمه فاحتفت به ، وذهبت من فورها هـذا إلى المراقات القدامى ، وكهنة المعبد ، فاستوحتهم ما عسى أن يكون فى كتاب الغيب من حظ لابنها فى الميدان ...

ولكنها حزنت ، ودهاها من الهم ما دهاها ، حين قال لها الكاهن الأكبر ، مؤمناً على ما تنبأت به العرافات ، إن أخيل سيدعى للقتال فى صفوف الأغريق ، وأنه سيلاقى حتفه تحت أسوار طروادة ، بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلاً فى موضع دقيق من جسمه ، هو ، وا أسفاه ، عقب قدمه اليسرى ، التى لم تغمرها مياه ستيكس !!

حزنت ذيتيس ، وتجهمت للحياة المشرقة ، وتجهمت الحياة المشرقة لها ؛ وآلت إلا أن تحول بين ابنها وبين الحملة على طروادة التى كانت الصيحة لها تجوب آفاق هيلاس فى تلك الآونة ...

وجلست تفكر ...

وبدا لها أن ترسل بأخيل حيث يحل ضيفاً على ليقوميدس ملك سيروس الكريم المضياف ، وأن تنتحل الأعذار الواهية ، فتعرض على الملك أن يسمح لولدها بالتنكر ، بأن يصفف طرته ويرسل غدائره ، ويزجج عينيه وحاجبيه ، ويصبغ خديه وشفتيه ويضفى عليه من وشى العرائس ، وأفواف الاناث ، وحبر القيان النيد ، ما يبدو به كأنه واحدة من بنات الملك أو إحدى سراريه ! تحسب المسكينة أنها بذلك تعفيه مما قدر له ، وأينما كان يدركه القتل ، ولو كان فى برج مشيد !!

* * *

واشتد طلب الأغريق لأخيل ، ولبث الأسطول الضخم يرقب عيثه فى كل لحظة عدة أيام ، وخشى أجا ممنون إن هو أقلع بالفلك ، ورسا عند شطئان طروادة أن ترسل الآلهة ريحاً صرصراً تسخرها عليه فتأتى على أسطوله ، أو يظل تحت أسوار أعدائه مرابطاً أبداً ، لا يتقدم ... ولا يتأخر ؛ وتكون إقامته ثمة بالهزيمة أشبه ، وإلى الانخذال أقرب . فأخذ يبعث الرسول يتلو الرسول للبحث عن أخيل ، الذى انبأت الآلهة أن فتح طروادة مستحيل بدونه ؛ ولكن عبثاً حاول أحد من الرسل

الظفور بأخيل أو بظل أخيل ؛ بل كانوا يعودون جميعاً وهم يتعثرون فى أذيال الخيبة ، ويلملون أطراف الفشل !

وهنا ، نهض البطل الملك ، أوليسيز ، فتى إيثاكا ؛ وندب نفسه للبحث عن أخيل ، وأقسم لايعودن إلا به !

ومع أن بعض القادة من أعضاء المجلس الحربى ، أوجس خيفة من أن يفر أوليسيز ، وأن يكون ندبه لنفسه بحجة البحث عن أخيل ، إن هو إلا حيلة يريد بها أن يفلت من تبعات الحرب وأهوالها ، إلا أن أجا ممنون نفسه ، وهو القائد الأعلى للجيوش والأساطيل ، قبل أن يذهب أوليسيز كيما يقص أثر أخيل ، بعد أن أخذ عليه « يميناً على حد الحسام المهند ! »

* * *

استطاع أوليسيز أن ينفذ إلى مملكة بلوتو فى أعماق المحيط ، واستطاع أيضاً أن يختلط بالخدم والخول وحاشية القصر ، وأمكنه أن يستدرج بعض الأمراء المقربين من رجال الأسرة المالكة فيعلم منهم أين يختبئ أخيل ، وكيف يمارس حياة العذارى فى بلاط ليقوميدس ، ملك سيروس ، كأنه إحداهن ، وعلم أيضاً أن أخيل نشأ نشأة عسكرية على يدى شيرون المعظم ، ومن كان تلميذ شيرون فأخلق به ألا يستنيم لهذه الحياة الناعمة التى لا تليق إلا بأبكار الخدور ، وربات الحجال ، لا بالأبطال وصناديد الرجال .... فانطلق إلى سيروس من فوره !

انطلق أوليسيز إلى سيروس النائية ، التى تكاد تكون منقطعة عن العالم ، وقد حمل على ظهره المريض ، وكاهله القوى حقيبة كبيرة جمع فيها من كتان مصر وأصباغها ، وعطورها ، وحبر الشام ، وحريره وبخوره ، وتصاوير فارس ، وقاقها وسنجابها ، ومشرفيات الهند ، وتحف السند ، وطرف الصقلب ... ومن كل ما غلا وارتفع ثمنه من أدق صناعات العالم جميعاً

فلما كان فى حاضرة المملكة ، يمم شطر قصر الملك ... وكان الوقت ضحى ؛ ثم إنه طفق يصيح باللهجة السيروسية ، معدداً أسماء السلع التى : « استحضرناها حديثاً من مصر الجميلة المتفننة ، والشام الصناع العبقرى ، وفارس الفنية الكسروية ، والهند العظيمة ، والسند الب ...... ونحن لا نبيع إلا للملوك وأبناء الملوك ، لأن الشعب فقير لا يقدر بضائعنا الغالية ... ونحن

معروفون فى مصر ، لا يشترى فرعون إلا منا ، وفى الشام ، وفى فارس ، وفى الهند ، حيث الأقيال العظام والـ ...... »

وأرسلت بنات الملك فأحضرن هذا التاجر الفاخر عما معه واجتمعن حوله يتفرّجن ويتلهّين : هـذه تختار منديلاً من حرير الهند ، أو منطقة من خز الشام ، وتلك تشترى من أصباغ مصر وعطورها وخرزها ، وثالثة تفتتن بتصاوير فارس ، فتشترى كل ما مع الرجل منها ....

ولـكن فتاة ملثّمة ... وقفت وحدها ترمق سائر الفتيات بنظرات ساخرة ، ولا تـكاد تُبين إلا عن عينين زرقاوين متألقتين ، تقدمت فى خطوات متزنة ، ومشية منتظمة ، وأخذت الحقيبة من الرجل فقلبتها ، وما كادت ترى إلى المشرفيات الرقاق الظُّبى ، حتى تهللت ، وبدا البشر فى عينيها ، وتناولت حساماً مرهفاً وشرعت تلعب به فى الهواء هنا وهنا ، كأنما تطيح به رؤوس أعدائها الذين تتصورهم فى لوحة الخيال البعيـد ، المتطيع على أسوار طروادة !!...

وشُده أوليسيز مما رأى !

إنه هو نفسه لا يستطيع أن يلاعب السيف كما تلاعبه هذه الفتاة !

وإن فتاة تنازل السيف هكذا ، لا يستطيع عشرة آلاف فارس أن يقفوا فى وجهها ، إذا جمتهم وإياها حلْبة للوغى !

إنها تأخذ على الهواء مسلكه ، فالهواء نفسه ذبيح هذه الضربات القاسيات !

وانقشع الشك من نفس أوليسيز ، وأيقن أنه أمام البطل المنشود ، فصاح بصوته الجهورى ، وكأن الرعد ينبرى من بين شدقيه :

« أخيل ! .... »

وكأن كل ما فى الأرض والسماء راح يردد صيحة أوليسيز :

« أخيل ... أخيل ... أخيل ... »

ووقف أخيل لحظة جامداً ، شارد اللب ، زائغ العينين ، كأنه مستيقظ من حلم كريه مفزع ، ثم ما هو إلا أن نثر لثامه ومزق الغلالة الحريرية التى كانت تحبس جسمه العظيم فى سجن امرأة ، وصاح بأوليسيز وقد بدا فى بُرْد الأسد

« أنا هو ... أنا أخيل ... فمرحى يا رجل ! »

ـ « أنت هو .... ؟ ! »

ـ « أجل ... أخيل بن بليوز ... أبى إلـه عظيم وأمى بنت إلـه عظيم ، فلبيك وسعديك ! »

ـ « وأنت مختبئ هنا فى خدور النساء خشية الحرب التى احتشد لها قومك دفاعاً عن الوطن ؟ »

ـ « أية حرب يا رجل ؟ »

ـ « بين هيلاس وبين طروادة ! »

ـ « ومن أثارها ؟ »

ـ « لقد سرق باريس بن بريام ، هيلين ملـكة أسبارطة »

ـ « سرقها ؟ ولم لم تقتله الفاجرة ؟ »

ـ « فرّت معه ، ولم يمنها أن تلق شرف هيلاس فى الوحل »

ـ « ولم لم تذهب أنت إلى الصفوف ، ويبـدو لى أنك محارب كبير ؟ »

ـ « بل أقبلت من الصفوف لأبحث عنك ! ! »

ـ « ومن أنت حتى ينتدبك الجيش للبحث عن أخيل ؟ »

ـ « ومن أنا ؟ وماذا أسرك أن أكون ؟ »

ـ « من أنت يا رجل ؟ »

ـ « أيسرك أن ملـكا هو الذى يبحث عنك يا أخيل ابن بليوز ؟ »

ـ « ماذا تعنى ؟ أأنت ملك إذن ؟ ملك ماذا ؟ »

ـ « ملك إيثاكا يا أخيل ! ! »

ـ « أنت ملك إيثاكا ؟ أنت أوليسيز ؟ هاها ... وما تلك الحقيبة إذن ؟ »

ـ « هى وسيلتى اليك ، لقد مزقت بها خمارك ، وهتكت عما فيها براقعك ! »

ـ « أنت تهيننى ! »

ـ « لا عليك ، ما دام محدثك أوليسيز ! »

ـ « أفى الحق انك هو .... ؟ ؟ »

ـ « أقسم لك بالـكُناس الذى آواك ...

ـ « وفيم كنت تحرث شاطئ البحر إذن ؟ لقـد ذُكر أنك زرعته ملحاً ، فهل حصدت سرديناً يا أوليسيز ؟

ـ « أخيل ! الأسطول ينتظرنا ، ألف ألف يتحرقون شوقاً لرؤياك ، وأنت أكرم من أن تفر من حرب ... فهلم !

ـ « هلم الى أين ؟

ـ « الى أوليس أيها العزيز . الى حياة البطولة والمجد والشرف !

ـ « البطولة والمجد والشرف ! ! ماذا تقول ؟

ـ « لم يخلق تلاميذ شيرون للتقلب في قصور الراحة ، والتلذذ بما في العيش من طراوة ونعومة ... هلم يا أخيل نخض المعمعة ، ونلق طروادة العاتية ، ونُلَقِّنْها درساً دامياً في الذود عن كرامة الوطن ! لا تقتل وقتنا فقد حرصنا جميعاً على أن تكون معنا ، وتحدثت إلينا آلهتنا أن طروادة لا تُفتَح إلا عليك ، ولا تعنو إلا لك ، وقد اتفقت المقادير أن ترميها بك ... لا تترك لخصومك فرصة أن يقولوا فر أخيل وتقاعس ، فأين أبطال هيلاس ! ! هلم هلم ، فقومك بنو الكريهة وقروم الحرب وحتوف الأقران ... لو رأيت إليهم مُستلئمين في سلاحهم ، مُقَنَّعين في حديدهم ، مُلملَمين في سفينهم ، لرماك عسكرهم الجرار ، وبهرك خميسُهم العرمرم ! وتمنيت أن تكون أحدهم بالدنيا وما فيها

دع الغيد يفاخرن بالقلائد والعقود ، وتعال نحن نعد ما في أجسامنا من ضربات السيوف ، ووخزات الرماح ، ومواقع السهام ، فهذه أعز مفاخر الرجال يا أخيل !

أخيل ! رُدّ علىّ ! قل سأحضر معك ! كلنا ننتظرك يا أخيل ! لن تُفتح طروادة إلا عليك ! فأي نفر ينتظرك تحت أسوارها ، وأي مجد يكلل هامتك يا بطلها الصنديد !

تكلم ، ولا تصمت هكذا ... إن ملك إيثاكا يتوسل إليك أنا أوليسيز كله ! سأكون خدنك في الحومة ، وصديقك في المعمعة ! وأجا ممنون ! إنه قائدنا الى الفخار ، وصاحبنا في مصارع الشرف ! وديوميديز ! بطل الأبطال وفارس كل كريهة وقتال ! سينسى شجاعته حين ينظر إليك تلاعب الأسنة ، وتقبّل مراشف الرقاق البيض ! وأجاكس يا أخيل ! لقد بهره ما سمعه عنك ، وهو يتمنى أن يراك ، ويحارب تحت بند خفاق من بنودك ! أجاكس نفسه ، يود أن يكون جندياً من جنودك وهو أقوى وأبسل جنودنا جميعاً ... !

ماذا ؟ تبكى ؟ . . . لا لا يا أخيل . . . لترقأ دموعك فهي أغلى من أن تنسكب هكذا ! أكرم بك هيلانياً رقيق القلب ، باراً ببلادك ، مناضلاً عن رايتها في ساحة المجد !

لتشربْ من دموع أخيل يا ثرى الوطن !

لترويك هذه العبرات الغاليات ، فهي ترياقك إذا حزبك أمر ، أو ادلهمت بك الخطوب ! »

... ...

وهكذا كان أوليسيز ماهراً في إثارة النخوة في قلب البطل !

وهل أحلى من كلمات البطولة ، وأوقع من حديث المجد ، في نفس شاب مثل أخيل ؟ لقد تقدم مختاراً طائعاً فقبل جبين أوليسيز ، ولثم سيفه ، ثم ودّع بنات الملك ، وحيا القصر ، وتزود من الحدائق نظرات

وانطلق في إثر أوليسيز !

إلى . . .

أوليس !

(لها بقية) دريني خشبة

أشكر الأستاذ الأديب محمد روحى فيصل ، وأدع للرسالة أن تجزيه عنى

دريني

من الفن القصصي الحديث

المشـــعوذ

LE BATELEUR

للقصصي الألماني اريش كستنر Erich Kaestner

ترجمة علي كامل

في ليلة من ليالي الصيف الماضي شوهد على شرفة مقهى (مجلس الوصاية) الواقع على رصيف مون بلان بجنيف منظر كان حقاً غير عادي ، إذ قبل أن ينتصف الليل بقليل كان المقهى يفيض بأزباش الوجهاء الذين كانوا يشربون قبل أن يذهبوا للنوم مختلف المشروبات المثلجة . فقد كان الجو ثقيلاً ، ثقيلا لدرجة أن رياح البحيرة لم تستطع إحداث أقل إنعاش أو تخفيف

وكان الأغنياء البرجوازيون من أهل جنيف يوقفون عرباتهم أمام الفندق ثم يبحثون بعد أن ينزلوا منها عن مكان وسط ذلك الجمع المختلف الأجناس المحتشد في ذلك المكان

وكان فريق الاركسترا يعزف في الهواء الطلق بضع مقطوعات من أوبرات شهيرة ، وكان كل الجالسين يشعرون بأنه يحيط بهم جو على أتم ما يرام : فجوازات السـفر تامة من كل الوجوه ، والحقائب مهيأة للغاية ، وأربطة الرقبة متفقة تماماً مع (البدل) ، والقهوة المثلجة في درجة الحرارة التي يرغبونها ، وأمواج الأوبرات التي يعزفونها جيداً تفتن جميع الآذان

وفي هذا الجو المفعم بالنعيم والفخامة برز مرة واحدة وسط الشارع أحد حمالي البواخر ، وكان أشبه ما يكون بمصارع ، وكان جسمه كله برنزي اللون من أثر الشمس . وبدل القميص كان يلبس (مايوه) بنفسجياً وحول فخذيه بنطلون أحمر متسخ . وكان يلوح بيديه بكوبة من الجعة نصفها فارغ . محيياً — وهو يضحك — الجالسين في المقهى الذين لم يكن من السهل لعينيه أن تراهم جميعاً . ولقد كان يبدو من منظره أن الشراب قد أسكره قليلاً . وكانت ابتسامته تبدو غريبة ، وبعد أن عبر شرفة المقهى عاد أدراجه وبدا على وجهه كأنه يريد أن يشرب في صحة الحاضرين . ثم أفرغ ببطء ما تحتويه كوبته ولم يظهر على من بالمقهى أنهم وجدوا في هذا المنظر تسلية كبيرة جداً ، وأفرغ الرجل ما تبقى من الجعة على الرصيف دون أن يبدو عليه أي ارتباك ، ثم أمسك الكوبة بكلتا يديه وحطمها تحطيما كاملا بين أسنانه كانسان عضه الجوع . وكان بالقرب منه فتاة أمريكية من أعظم الموجودات رشاقة فصرخت حين رأته يفعل ذلك واصفر لونها مرة واحدة . أما جارتها فحين ملكها الفزع وضعت منديلها سريعاً على فمها . ووقف عدد من الزبائن ودفعوا كراسيهم إلى الوراء وجروا بأقصى سرعة . أما أفراد الأركسترا أنفسهم فقد تحولت أنظارهم عن النوت التي أمامهم وطاشت أنغام كل منهم

وفي أثناء كل ذلك الوقت كان الرجل يسحق قطع الزجاج بصوت مرتفع دون أن يتحرك من مكانه متابعاً بعينيه بكل هدوء عصبية المتفرجين المتزايدة ، وكان صوت مضغ الزجاج — ذلك الأمر العجيب النادر — هو وحده الذي يزعج ذلك السكون الشامل . ثم أحنى الرجل رأسه كأنه يتحدث سراً مع أحد من الناس وتأرجح على ركبتيه ثم اتجه إلى مناضد أكثر بعداً وهز من جديد كوبته ونظر بهدوء شديد إلى الوجوه الخائفة وحطم قطعة أخرى بين أسنانه . وهرب هذه المرة أيضاً عدد من الجالسين بينما طلب عدد آخر — وقد أثارهم ذلك المنظر الغريب — من خدم المقهى أن يطردوا ذلك الرجل . على أن الخدم اكتفوا بهز أكتافهم ، فقد كانوا على جانب من التعب الشديد غير قادرين حتى على جمع الحساب الذي لهم عند الزبائن . كما أن الفزع كان قد أخذ منهم كل مأخذ . ومن الحق القول أيضاً بأنهم كانوا لا يودون مطلقاً أن يتشاجروا مع (آكل الزجاج)

وطلب رجل فرنسي — كان قد أصبح وجهه رمادي اللون من هول الرعب — مدير المحل كيا يوجه إليه اللوم الشديد . ووعد مدير المحل بأن يقدم مساعدته وتقدم خطوات نحو حمال البواخر ، لكن شجاعته خانته حالا فتقهقر . ذلك لأن المشعوذ

لم ينقطع عن التردد بين طرفي المقهى وهو يمضغ على مهل بقايا كوبة الجمة، وبعد أن ازدرد جزءاً منها لفظ البقية على الأرض. وبدا على جانب شفتيه مجرى رفيع من الدم انساب حتى ذقنه دون أن يشعر هو نفسه بذلك إذ كان منشغلاً تماماً بمضغ غذائه الوحيد

ومر بالمكان مصادفة أحد رجال البوليس قادماً من رصيف و. ولسن، وكان يرتدي (بدلة) زرقاء بأشرطة بيضاء، فعندما رأى ذلك المنظر الغريب انسل بهدوء إلى شارع الناقوس، واختفى دون أن يصرخ آمراً بعودة النظام

ووقفت السيارات في عرض الطريق بينما جلس السائقون صامتين من الذهول، وقد اتجهت أنظارهم - دون أن تتحول مطلقاً - صوب النوافذ الزجاجية

لقد فقد زبائن المقهى وعيهم كلية، وملكهم الرعب من جراء شجاعة ذلك الرجل الخارقة، ولقد دفعهم الخوف لأن يضموا أيديهم على حقائبهم، فقد تكون هي أحسن وسيلة لابعاد ذلك الحال الذي حمل إليهم الألم والأذى

على أنه لم تكن هناك وسيلة ما!

لم يبق من الكوبة شيء يذكر، كان الرجل يمضغ بهدوء البقايا الأخيرة ولم يقاومه إلا القاعدة لأن زجاجها أكثر سمكا، فلوح بها في الهواء وعليه أمارات النصر المتلو بالاحتقار

كان السكون التام يسود المكان كله ولم يكن هناك إلا فتاة صغيرة — عيناها نصف مقفولتين — تبكي بوداعة. وفي تلك اللحظة اقترب رجلنا من المنضدة المجاورة وقبض — دون أن ينطق بكلمة واحدة — على آنية السكر المعدنية وأدارها على المنضدة ثم قدمها وهي فارغة مما كانت تحويه طالباً المعونة، وقد علت وجهه أمارات التهديد. وفي الحال انفتحت حقائب النقود كأن قوة سحرية فعلت بها ذلك. وتراكمت قطع النقود في آنية السكر كأنها قطرات مطر هاطل، وتنقل الرجل من منضدة إلى أخرى وهو مالك نفسه أكثر من رجل مسلح من رجال العصابات. مادا آنية السكر كأنه يصوب مسدساً. إنه لم يستجد بلسانه مطلقاً، كما أنه لم يشكر من أعطوه، على أنه لم يكن يغادر المنضدة إلا بعد أن يعطيه الجالسون عليها نقوداً

وفي الطريق وقف المارون ينظرون في صمت ما يفعله الرجل وقد ظهر عليهم السرور واضحاً. ولاحظ مدير المحل — ولكن بعد أن فات الأوان — أن سمعته في خطر كبير فانحنى يطلب بأدب جم إلى العامل أن يوقف هذه الشحاذة، لكن الرجل أبعد ذلك الشخص الذي يضايقه بأن هز كتفه هزة خفيفة ثم استمر في تكديس النقود كأن شيئاً لم يحدث قط، فقد كان يعتبر الجالسين في المقهى كأنهم أكياس منتفخة من الذهب

لقد جاء إلى المكان وأطاعوه بسهولة! وفي اللحظة التي شعر فيها بأنه حصل على ما يريد أفرغ ما تحتويه آنية السكر في جيبه وألقى على الأرض - دون أي مراعاة - قاع الكوبة الذي لم ينقطع عن التلويح به في الهواء حتى تلك اللحظة، ثم ارتدى بنطلونه بإهمال، كما هي حال الطبقات الدنيا، وسار في طريقه باحتقار وازدراء

وبقي الزبائن ساكنين جالسين في أماكنهم ذاهلين، أشبه ما يكونون بمرضى في دور النقاهة؛ محطمين من التعب والارهاق

والآن ما الذي حدث؟

الذي حدث أن رجلاً لا يلبس ياقة ولا رباطاً للرقبة ازدرد الزجاج. بيد أن وقع الحادث على المتفرجين كان أكثر من ذلك هولاً ورهبة

وابتدأ فريق الأوركسترا يعزف مقطوعات الموسيقى ڤيردي بينما كان أحد خدم المقهى يمسح جبهته خفية

البريد الأدبي

مستعرب عظيم

يلومني بعضهم لتنويهي في كل مناسبة بفضل علماء المشرقيات في الغرب على حضارتنا وآدابنا ، ولقولي إننا كنا نجهل كثيراً من علم أمتنا ومدنيتها لو لم يقم الغربيون يحيون كتب العرب منذ القرن السادس عشر من الميلاد ؛ حتى طبعوا منها خزانة عظيمة باتقان وضبط ، ما برحت مرجع الدارسين والباحثين ، وإذا أشرت إلى علماء أمتي بالجرى في طريقة أولئك العاملين ، فهناك الامتعاض ، وهناك الغمز واللمز ، وهناك الأعذار التي لا مبرر لها

أنا لا أجادل إلا بإيراد مثال واحد على صحة مدعاى ، والأمثلة متوفرة كثيرة . هذا الأستاذ كرنكو الألماني لم يجد منشطاً من دولة ، ولا من جامعة ، ولا من جماعة ؛ ومع هذا طبع نيفاً وعشرين كتاباً من كتبنا لخدمة العلم والحضارة العربية . وترجمة الرجل طريفة عسى أن يكون في نشر طرف منها بعض العبرة لقومي ، وألا يثقل عليهم إذا قلنا إنهم مقصرون عن اللحاق بغيرهم

ولد « فريتس كرنكو » أو « سالم الكرينكوى » ، كما سمى نفسه بعد في قرية شونبرغ في شمال ألمانيا ، وتعلم مع لغته الألمانية ، وكان بها شاعراً ، اللغات الانجليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ، فأتقنها اتقاناً جيداً ، ثم بدأ وهو صبي يافع يتعلم اللغات الأوربية الأخرى واللغة الفارسية ، وتعلم طرفاً صالحاً من الحميرية والعبرية والآرامية والتركية ، ثم رحل إلى انجلترا واشتغل بالتجارة حتى أسس مصنعاً للأقمشة في « لستر » كان يشتغل فيه أكثر من ألف عامل وعاملة ، ولم تفته مع كثرة أشغاله العقلية ساعة إلا طالع فيها الكتب العلمية ، وسما له شوق إلى درس آداب العربية والحضارة الاسلامية ، ولا سيما ما كان له علاقة بأوائل الاسلام والقرون التي سبقته ، فتعلمها وأتقنها حتى أصبح يكتب فيها ويؤلف مثل أبناء العرب

وفي الحرب نكب بفقد وحيده ، ثم بخسارة كبرى في تجارته حدت به إلى تركها في سنة ١٩٢٧ . وتفرغ بعد ذلك للعلم ، وهو اليوم يعرف لغات أوربا وثلاث لغات من لغات الشرق : العربية والفارسية والهندية معرفة جيدة ، ودرس اللغات الأخيرة في الكتب من دون أستاذ ، وهو اليوم لا منصب له يعيش براتبه ، وماله مال أمثاله ممن يحترف الأدب ، ولما اشتدت به الضائقة كتب اليه أحد أصدقائه من مسلمي الهند أن ينسخ له من الكتب العربية ما يراه جديراً بالطبع من خزانة المتحف البريطاني في لندرا ، وجعل له جعلاً سنوياً مناسباً . وقال لي الأستاذ : إني الآن أعيش بفضل لغتكم

هذه جملة حاله ، أما انتاجه فكثير جداً ، لا تكاد تقوم بمثله الجامع العلمية الكبرى ، ورجائي أن يقتدى بسيرته رجالنا ، فهي غريبة في بابها

طبع الأستاذ كرنكو مجموعة من كتب العرب أعرف منها الكتب التالية :

(١) قصيدة طفيل الغنوي البائية مع ترجمة انجليزية

(٢) قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير مع مقدمة ألمانية

(٣) شعر أبي ذهبل الجمحي رواية الزبيري بكار مع زيادة وحواش وملاحظات

(٤) طبقات النحاة لأبي بكر الزبيدي مع مقدمة وشروح عليها باللغة الايطالية

(٥) ديوان مزاحم العقيلي بترجمة انجليزية

(٦) كتاب المجتبى لأبي بكر بن دريد

(٧) ديوان النعمان بن بشير الأنصاري وفي ذيله ديوان بكر ابن عبد العزيز العجلي

(٨) حماسة هبة الله بن الشجري

(٩) ديوان طفيل الغنوي وديوان الطرماح بن حكيم مع مقدمة وترجمة وشروح وفهارس مطولة بالانجليزية

(١٠) الكتاب المأثور لأبي العَمَيْثل الأعرابي عن نسخة قديمة كتبت سنة ٢٨٠ مع مقدمة ألمانية وفهارس

(١١) جمهرة ابن دريد في ثلاثة مجلدات مع فهارس له في مجلد كبير

(١٢) تنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لأبي الهيثم البصري

(١٣) كتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك ابن هشام عن وهب بن منبِّه التابعي وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شَرْيةَ عن الأمم البائدة، وقد كتب في مجلة « مدنية الاسلام » الألمانيـة أن هذين الكتابين من أقدم الآثار المدونة باللغة العربية

(١٤) « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني في أربعة مجلدات . ويطبع الآن ويصحح كتاب « معاني الشعر الكبير » لابن قتيبة ، وهو في ألف صفحة ، و « إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه » والمجلدات الثلاثة الأخيرة من « التاريخ المنتظم » لابن الجوزي ، و « المؤتلف والمختلف » للآمدي ، وكتاب « نحاة البصرة » للسيرافي ، و « الجماهر في معرفة الجواهر » لأبي الرَّيحان البيروني ، إلى غير ذلك مما يطبعه من كتبنا في الهند ومصر والشام والجزائر وأوربا

وبعد هذا ألا نرى من الواجب أن نرسل من هذه الأقطار العربية تحياتنا إلى هذا العالم العامل الكامل في الديار الغربية ، وندعو بطول بقائه ليخدمنا بعقله ونبوغه ، وندعو أن يهيّء الله لأمتنا أمثاله من العلماء العاملين

محمد كرد علي

كتاب الذخيرة لابن بسام

تألفت أخيراً برياسة العلامة المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال لجنة من أفاضل المستشرقين لتعنى بإخراج أثر إسلامي أندلسي ضخم هو كتاب : « الذخيرة في التعريف بمحاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، وهو من أكابر أدباء الأندلس في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري . ولم يكن موجوداً ولا معروفاً قبل بضعة أعوام من كتاب ابن بسام غير أجزاء أو نسخ ناقصة ؛ ولكن الأستاذ ليفي بروفنسال ، وهو من خيرة المستشرقين الذين وقفوا جهودهم على استقصاء تاريخ الأندلس المسلمة وآدابها وحضارتها ، لبث يبحث وينقب أعواماً طويلة في خفايا المكاتب المغربية حتى ظفر بنسخة حسنة كاملة من كتاب : « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ؛ وساعده على ذلك وجوده بالمغرب الأقصى ، مدى أعوام طويلة ، مديراً لمعهد المباحث الاسلامية في رباط الفتح (مراكش) ، وتجوله الدائم في أنحاء مراكش والجزائر ، وتمكنه من معرفة الآثار والمخطوطات الأندلسية ؛ وهو صاحب القسم الثاني من فهرس المكتبة العربية في الاسكوريال ، وله عن اسبانيا المسلمة مؤلفات عديدة . منها : « اسبانيا في القرن العاشر » و « النقوش الاسلامية في اسبانيا المسلمة » و « وثائق جديدة عن تاريخ الموحدين » و « وصف لمدينة سبتة في القرن الخامس عشر » الخ . وقد طبع كتاب دوزي عن الأندلس طبعة جديدة منظمة منقحة ؛ وكتاب الذخيرة الذي يعني الآن بإخراجه ، أثر أدبي تاريخي ضخم ينقسم الى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة وأعيانها ، والثاني خاص بغرب الأندلس وأعيانها ، وأخبار أشبيلية وبني عباد ؛ والثالث خاص بشرق الأندلس وبلنسية وأعيانها ، والرابع خاص بأخبار الجزيرة وأعيانها . وهو يلقي أعظم الضياء على تاريخ اسبانيا المسلمة وآدابها وأحوالها الاجتماعية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أيام دول الطوائف . ويوجد بدار الكتب المصرية نسخة ناقصة من كتاب الذخيرة في مجلدين كبيرين ، تحتوي على القسمين الأول والثاني فقط من الكتاب . ومن المحقق أن دوائر البحث الاسلامي سوف تنتظر بفارغ الصبر ثمرة الجهود المحمودة التي يبذلها الأستاذ ليفي بروفنسال وزملاؤه الأفاضل لاخراج هذا الأثر النفيس

من آثار نابوليون

كشف البحث في مكتبة خاركوف العامة (روسيا) عن وجود أثر نفيس من آثار نابوليون ، وهو عبارة عن كتاب منه بخطه إلى صديقه وعامله يوسف فوشيه ، والكتاب مؤرخ في ١١ مايو سنة ١٨١١ ، وفيه يدعو الامبراطور فوشيه ليتولى إدارة شؤون بروسيا ، ويحثه على القدوم إلى درسدن مع عدة من معاونيه الذين يعرفون اللغة الألمانية ، وكان نابوليون في ذلك الحين قد غلب على بروسيا وغزاها ، وأخذ يستعد لغزوته الروسية الشهيرة . وأما يوسف فوشيه الذي يوجه إليه هـذا الخطاب ، فهو من أشهر الشخصيات في تاريخ نابوليون وتاريخ فرنسا في هـذا العصر ؛

وقد كان من أقطاب الثورة وزعماء اليعاقبة ، ولما بزغ نجم نابوليون عين مديراً لبوليس باريس ، واستمر فى هذا المنصب أعواماً طويلة ثم تولى بعد ذلك عدة مناصب فى الادارة وفى البطانة ، واشتهر فوشيه بدسائسه الكثيرة التى جعلت منـــه شخصية روائية مدهشة ، وكان داهية وافر الذكاء والخبث ، وقلما تجد قصة من قصص هـذا العصر لا يحتل فيها فوشيه أعظم مكانة ، وكان نابوليون يثق به وينتدبه لأخطر المهام السرية ، ولكنه فى أواخر أيامه أخذ يرتاب فيه ويقصيه عنه ، وكان فوشيه أديباً كاتباً ، وقد ترك لنا عدة آثار ورسائل ، وكتب عنه الكثيرون مؤلفات ضخمة ، ولا سيما شتيفان زفايج الكاتب النمسوى ، ولوى مادلين الكاتب الفرنسى

وفاة فنان نمسوى

من أنباء فينا أن المهندس والفنان الأشهر الأستاذ أوسكار شترناد قد توفى فى السادسة والخمسين من عمره فى مصيفه فى « أوسزى » ، وقد كان الأستاذ شترناد أعظم إخصائى فى فنه ، وهو الهندسة الزخرفية ، واشتهر منذ أواخر عهد القيصرية ، وتولى زخرفة كثير من المنشآت الشهيرة ، ومنها « الأوبرا » النمسوية . ولبث مدى أعوام طويلة أستاذ هذا الفن فى مدرسة الزخارف الفنية

الرقابة الأدبية فى روسيا

تفرض روسيا السوفيتية على الكتب والصحف رقابة صارمة ؛ وكما أنها ترعى هذه الرقابة وتنظمها داخل روسيا ، فلا يكتب أو ينشر شىء ينافى المبادىء الشيوعية أو يتوجه إلى نقدها والطعن فيها ، فكذلك تنظم هذه الرقابة على الحدود تنظيما دقيقاً فلا يتسرب إلى الأراضى الروسية من الكتب أو الصحف شىء يخشى منه على عقول النشء الروسى الذى نشأ وترعرع فى ظل الثورة الشيوعية ، وآخر نوع من أنواع هذا الحجر قانون أصدرته وكالة الشؤون التجارية الخارجية ، يقضى بأنه لا يجوز لشخص داخل روسيا أن يستورد من الخارج كتباً أو صحفاً أجنبية إلا بتصريح خاص من المكاتب التى ستنشأ لهذا الغرض ، وكل صحيفة أو كتاب لم يؤذن باستيراده يعتبر مهرباً ويحا كم محرزه ولا سيما إذا كان فيه طعن على الحكومة السوفيتية أو مبادئها أو وسائلها ، وقد عملت السلطات السوفيتية على تشديد الرقابة على هذا النحو بما لاحظته فى الأعوام الأخيرة من اشتداد الحملة على روسيا السوفيتية ، وتصوير نظمها وأحوالها فى معظم البلدان الأجنبية ، سواء بطريق الكتب أو الصحف ، تصويراً منفراً تقشعر منه القلوب

الى صديقى الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى

كنت شديد الاعجاب بقصيدتك « عاصفة روح » التى سمعتك تنشدها قبل نشرها فى العدد الأخير من « مجلتى » الصادرة فى أول سبتمبر ، ولكنى لما خلوت إلى نفسى كنت كمن يفتش على مهل عن شىء ضائع فى ذاكرتى !.. وأخيراً لقيت هذا الشىء الضائع ... لقيت مطلع قصيدة من ذات العنوان والوزن ، بل لقيت القصيدة كلها من نظم الشاعر الدمشقى مشيل عفاق منشورة فى العدد السابع من مجلة الدهور الصادر فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٤ مطلعها :

إعصفى يا رياح واهزئى يا سماء
من يكن ذا جناح هل يهاب الفضاء ؟

ولقيتك فى المقطع الثانى من قصيدتك تقول :

اعولى يا جراح أسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

لقد أوغلت فى قراءة قصيدتك ، ووازنت بين أقوالك ومعانيك ، وبين الأقوال والمعانى الواردة فى قصيدة الشاعر الدمشقى ، وأخيرا لقيت الأليق أن أسألك عما إذا كان هذا مجرد توارد خواطر ، وقد ألفنا تعليل الاغارات الأدبية بتوارد الخواطر

أريد أن أمضى معك فى تعليلك ، وأن أكتفى بنشر مقطع واحد من قصيدة ذلك الشاعر الدمشقى يتفق مع مقطع من قصيدتك ، أريد ذلك حتى لا أضيف خسارة صديق جديدة إلى قائمة أولئك الضعفاء غير المأسوف على صداقتهم ، فهل من تعليل ؟ .... إنى لمنتظر

حبيب الزحلاوى

تصحيح أخطاء فى شعر هذا العدد

فى البيت الثانى عشر من قصيدة الأستاذ الزهاوى ضبطت تعد بضم العين والصواب الفتح

والبيت الثامن من قصيدة الدكتور ناجى عبث به بعضهم فأخرجه إلى بحر آخر

وفى البيت الأول من قصيدة السيد الياس قنصل وردت كلمة (شبهة) ولم تعرف اللغة هذه الكلمة



ثلاث رسائل

بخط ياقوت الحموي الرومي

للأديب الفارسي عباس اقبال

ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام

عند كاتب هذا المقال مجموعة صغيرة في ثمان وأربعين ورقة صفراء، طول كل ورقة ١٥ سنتيمتراً، عرضها ١٠، وهي بخط نسخ جميل، كتبها كلها الأديب العالم الكبير شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، المؤلف ذائع الصيت صاحب معجم البلدان، ومعجم الأدباء، المولود سنة ٥٧٥ والمتوفى سنة ٦٢٦

في هذه المجموعة أربع رسائل صغيرة كتبها ياقوت نفسه في أوقات مختلفة، ثم جمعها في مجلد واحد. وهي كما يأتي:

١ — كتاب الفصيح: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني (٢٠٠ — ٢٩١) وهو ٢٨ ورقة. وقد طبع مرات

٢ — كتاب تمام الفصيح: لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥. وفيه ١١ ورقة

٣ و ٤ — كتابان لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني الوراق (٢٧٦ — ٣٨٤) الأول منهما، لسوء الحظ، سقط من المجموعة، وهي عنوانه من الغلاف. والكتاب الثاني كتاب الحروف. وقد سقط أوله، وبقي معظمه في ٩ ورقات

ولا شبهة في صحة نسبة هذه النسخة الى ياقوت الحموي وأصالتها. فالخط والورق والتاريخ يؤيدها. ثم ياقوت نفسه يكتب هذا خمس مرات بالخط الذي كتبت به النسخة نفسها. ولدينا شواهد تاريخية أخرى نحصيها فيما يلي:

على غلاف هذه المجموعة، كما يظهر من الصورة (١) هذه الكلمات: كتاب الفصيح

تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب

وكتاب تمام الفصيح

تأليف أبي الحسين احمد بن فارس

... ...

وفيه كتاب .... وكتاب الحروف

كلاهما عن علي بن عيسى بن علي الرماني

وفي الحاشية اليسرى إزاء اسم كتاب الرماني «ملك لكاتبه ياقوت الحموي عفا الله عنه» ثم في أسفل صفحة الغلاف كتب ياقوت نفسه في سطور وأسمية أسماء رواة كتاب الفصيح الى زمانه وبين كيف نسخ هذه النسخة من الفصيح وصححها. ونحن ننقل هنا بعض ما كتب:

..... وصاحب هذا الكتاب عبد الله الفقير إليه ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي، بعد أن عارض بأصله هذا نسخة السماع وكتب ما كان فيها من ...... وما كان في هذه النسخة من الزوايد مخالفاً للأصل ضرب عليه بالحمرة. وذلك بأعلى ... الآخر سنة عشرين وستمائة. وهذا خط صاحب الكتاب ياقوت الحموي عفا الله عنه ...

وفي آخر نسخة كتاب الفصيح: «منقول من خط أبي الحسين علي بن عبيد الله المسمى اللغوي بحواشيه حرفاً حرفاً، وكان على وجه نسخته، وفي الحاشية اليمنى بجانب هذه العبارة كتب بخط أحمر: «قوبل بالأصل المنقول عنه؛ فصح والحمد لله رب العالمين، وقوبل ثانياً وصح»

وكتب في هذه النسخة، كما يقول ياقوت في حاشية الغلاف: اختلافات النسخ فوق الكلمات بمداد أحمر، وزيدت في الحواشي زيادات وتصحيحات. وهذا برهان مقابلة النسخة بنسخ أخرى

---

(١) أرسل الكاتب مع المقال صوراً من الكتاب لم يتيسر نشرها في الرسالة

وليس فى الرسالة تاريخ نسخها ، ولكن يؤخذ من حاشية الثلاث المكتوبة فى ربيع الآخر سـنة ٦٢٠ : أن مقابلة هذه النسخة بنسخة أخرى كان فى هذا التاريخ ، وقد حمل ياقوت هذه المجموعة معه حين فرّ من متوحشى التتار بين سنتى ٦١٧ ، ٦١٨ . وكان من بركة هذا الفرار أن بقيت لنا هذه النسخة ولم يصبها من أيدى هذه الجماعة الوحشية ما أصاب نفائس الكاتب فيما وراء النهر وخوارزم وخراسان

* * *

وقد كتب على ظهر الورقة الأولى من كتاب تمام الفصيح لاحمد بن فارس : « كتاب تمام الفصيح تأليف الامام أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا رحمه الله . ومن خطه نقل » ، وفى أول الكتاب « نقلت من خط أبى الحسين أحمد بن فارس مصنف الكتاب » وتنتهى النسخة بهذه العبارة :

« وكتب أحمد بن فارس بن زكريا بخطه فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بالمحمّدية . قال ناسخ هذه النسخة هذا جميعه صورة خط الامام أبى الحسين بن فارس رحمه الله . فأما أنا فانى فرغت من نسخ هذه النسخة بكرة الأحد سابع ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة بمرو الشاهجان حامداً لله ومصلياً على نبيه المصطفى محمد وآله وصحبه الكرام ، وكتب ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى »

وكتب فى الحاشية مقابل كلمة المحمدية : « قلت المحمدية محلة بالرى هى بين السور البرّانى والسور الداخلانى » ، وهذه العبارة التى كتبها ياقوت فى آخر نسخة تمام الفصيح علاوة على تصريحه بأن هذه النسخة خط يده ، وأنه ختمها يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٦١٦ فى مرو الشاهجان ، ونقلها من نسخة المصنف التى كتبها بخطه فى رمضان سنة ٣٩٣ فى المحمدية ترينا تدقيق ياقوت فى ضبط أسماء البلدان . فان هذا العالم الكبير الذى أمضى شطراً من عمره فى تحقيق أسماء البلاد وتبيين مواقعها ، وجمع المعلومات التى مكنته من تأليف كتابه البديع الخالد معجم البلدان رأى فى نسخة اسم محلة غير مشهورة فاهتم بتبيين موقعها فى حاشية نسخته حتى أبان عنه ؛ وكان من قبل خفياً عليه نفسه كما يتبين مما يأتى :

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان ، بمناسبة كلمة المحمدية ، نسخة كتاب تمام الفصيح التى كتبها بخطه المصنف أحمد بن فارس ، ووقعت فى يده بمرو الشاهجان ، ونقل العبارة التى ذكرها أحمد بن فارس فى آخر نسخته ونقلناها هنا ، وهذا من أقوى الأدلة على صحة نسبة النسخة الحاضرة إلى ياقوت ، وهذه عبارته فى معجم البلدان « ووقع لى بمرو كتاب اسمه تمام الفصيح لابن فارس وبخطه . وقد كتب فى آخره : وكتب أحمد بن فارس بن زكريا بخطه فى شهر رمضان سنة ٣٩٥ (كذا بالرقم فى النسخة المطبوعة فى لايبسيك) بالمحمدية فبقيت دهراً أسأل عن موضع بنواحى الجبال يعرف بهذا الاسم فلم أجده لأن ابن فارس فى هذه الأيام هناك كان حياً حتى وقفت على كتاب محمد بن أحمد بن الفقيه فذكر فيه . قال جعفر بن محمد الرازى : لما قدم المهدى الرّى فى خلافة المنصور بنى مدينة الرّى التى بها الناس اليوم ، وجعل حولها خندقاً ، وبنى فيها مسجداً جامعاً ، وجرى ذلك على يد عمار ابن الخصيب . وكتب اسمه على حائطها ، وتم عملها سنة ١٥٨ . وجعل لها فصيلاً يطيف به فارقين آخر ، وسماها المحمدية . فأهل الرى يدعون المدينة الداخلة المدينة ، ويسمون الفصيل المدينة الخارجة ، والحصن المعروف بالزبيدية فى داخل المدينة بالمحمدية

« له بقية » عبد الوهاب عزام



مطبوعات دار الكتب المصرية

للأستاذ محمد بك كرد علي

أصدرت دار الكتب المصرية الجزء الخامس من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي في ٤٦٧ صفحة كبيرة ، مشفوعاً بفهرس الولاة الذين تولوا مصر من سنة ٤٢٨ هـ إلى سنة ٥٦٦ هـ ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط ، وفهرس أسماء البلاد والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك ، وفهرس وفاء النيل من سنة ٤٢٨ إلى ٥٦٦ وهي الأعوام التي استغرق هذا الجزء الكلام عليها . وأصدرت أيضاً الجزء الثاني من « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الأندلسي المتوفى بمنية ابن خُصَيب في الصعيد الأدنى سنة ٦٦٧ هـ ، وهو تفسير جليل « أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن ، واستنباط الأدلة ، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ » . وقد جاء الجزء الأول في ٣٩٦ صفحة والثاني في ٤٣٦ ، مصححاً بمعرفة الأستاذ السيد محمد الببلاوي مراقب إحياء الآداب العربية

والدار آخذة في اتمام طبع كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، وقد أنجزت إلى الآن جزءه السابع . و « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري ، وقد أتمت طبع السفر الحادي عشر منه . وانتهت منذ مدة من طبع « صبح الأعشى » للقلقشندي في أربعة عشر مجلداً ، ولا ينقصه إلا الفهارس التي تحلى بها كل من النجوم الزاهرة والأغاني ونهاية الأرب . وأتمت طبع « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، في أربعة مجلدات ، ويحمل الرابع منها الفهارس المنوعة . وطبعت ديوان مهيار الديلمي في أربعة مجلدات ، وديوان صَرَّدُرّ ، وديوان نابغة بني شيبان ، وديوان علم الدين أيدمر المحيوي ، وديوان جران العود النميري ، إلى غير ذلك مما أحيته في عهدها الأخير على نفقتها وبعناية رجالها . كما طبعت في خمسة مجلدات قائمة الكتب العربية المطبوعة والمخطوطة التي دخلت الدار

وكانت طبعت طائفة من الكتب الجليلة ، منها « الطراز » لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي اليمني في ثلاثة مجلدات ، و « الاعتصام » للشاطبي في ثلاثة مجلدات ، و « الاحكام » للآمدي في أربعة مجلدات وغير ذلك . جرى طبع هذه الكتب باشرافها قبل أن تنشئ مطبعتها الفنية المتقنة ، وكانت طبعت في دور آخر من أدوارها الماضية تاريخ مصر لابن إياس في ثلاثة مجلدات مع الفهارس ، و « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » لابن جيعان ، و « تاريخ الفيوم وبلادها » للنابلسي الصفدي ، و « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » لابن دقماق وغيرها

هذا عمل دار الكتب اليوم وأمس ، ورأيت بعض الغيورين على العلم ينتقدون عليها بطء إخراج الكتب للناس ، وما عمل هذه الدار بما تنشر من الأسفار المتعة إلا عمل علمي محض يراد منه احياء ما قد يتعذر على الأفراد احياؤه من الأمهات العربية ، على غاية من العناية بالتصحيح ، مع معارضة النسخ المختلفة بعضها ببعض ، والتعليق على محال الاشكال من النسخ الأصلية المعتمدة ، وشرح ما يجب شرحه من المشكلات اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية وغيرها ، وهو عمل شاق لا يدرك مبلغ خطورته إلا من عاناه ؛ فقد يتوقف الناشر في صفحة بحيث بعض كلماتها ، أو طمست بعض سطورها أياماً كثيرة ويتقاضاه اثبات الرواية الصحيحة أوقاتاً ، لو كان له أن يصرفها كما يشاء لكتب رسالة مطولة في فن من الفنون . فاحياء كتاب من هذا الطراز ، فيه ما فيه من الغموض واللبس أصعب من تأليف كتاب ، ذلك لأن مصححه مقيد بالنص ومقيد بالرسم والخط ومقيد بالأمانة ، ليس له أن يعدل على هواه كلمة بكلمة ، ولو رأى ما ذهب إلى ذهنه أحق بالاتباع والاثبات . ولو كان عمل الدار تجارياً لأخرجت كل شهر بضعة مجلدات ، ولكن ماذا تكون قيمتها العلمية ؟

أما من يتبجحون بأن بعض منشورات الدار لا تخلو ، مع هذه العناية البالغة ، من أغلاط وتهاون ، فجوابنا لهم أن يتفضلوا وينشروا لنا رسالة صغيرة للقدماء ، في مثل هذه الصورة اللائقة التي تصدر بها مطبوعات دار الكتب ، وعندئذ يحكم العارفون لهم أو عليهم . والدعوى الطويلة العريضة في خلوة غير العمل السديد ، والنقد سهل والصعوبة في الابداع

وأي خدمة أعظم من الخدمات التي تقوم بها دار الكتب المصرية للآداب العربية ، وكثير مما طبعته مَعْلَمات أو انسيكلوبيديات في الأدب والانشاء والعلوم . فالشكر للأستاذ المربي محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب على عنايته بالدقيق والجليل في دوائره ، ولاخوانه ومعاونيه الأساتذة المحققين : السيد محمد الببلاوي ، وزكي العدوي ، والشيخ محمد عبد الرسول ، والشيخ أحمد الزين وغيرهم من الناظرين في الكتب . والشكر الكثير لمجلس دار الكتب الذي ما برح يقرر نشر كل مفيد من آثار السلف .

محمد كرد علي